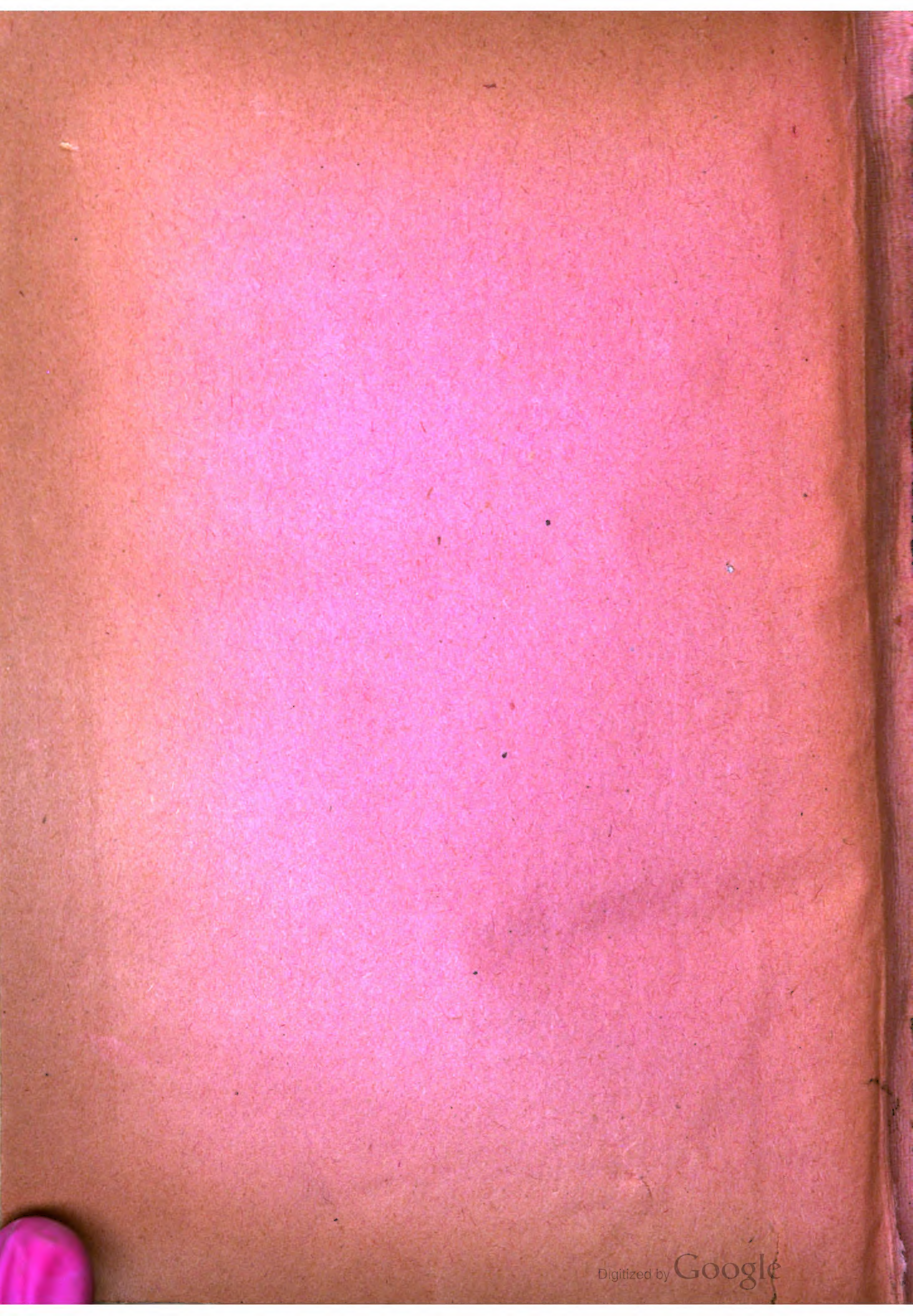



SIGILLVM · COLLEGII · COLVMBIAE · NOVI · EBORACI
IN LVMINE TVO VIDEBIMVS LVMEN
I·PET·II·4·2·



Al-Miʿrāj al-Kabīr
by
Najm ad-Dīn al-Ghaiṭī

Cairo, 1295 A.H. [= 1878]

This has been rebound, but otherwise it is a perfect copy of the excessively rare edition of 1295.

المعراج الكبير العالم النحرير البحر الحبر الامام
نجم الدين الغيطي الهمام تغمده الله برحمته
واسكنه فسيح جنته
آمين



الحمد لله الذى رفع قدر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى الدنيا وفى الاخرى * واسرى به ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فأعظم بذلك فخرا * وقدمه جبريل فصلى بالانبياء والمرسلين ليعلم به انه الامام الاعظم وانه بذلك المقام احرى * ثم رقى الى السموات العلا الى سدرة المنتهى فظهر لمستوى سمع فيه صريف الاقلام ورأى من آيات ربه الكبرى * وتجلى له وخاطبه وثبت فؤاده واعطاه سؤله واعظم له بذلك اجرا * فسبحانه من اله نزه نفسه بنفسه فى مقام الانباء عن الاسرا * واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تتوالى علينا امداداتها تترى * واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى بعثه رحمة للعالمين وكنزا لهم وذخرا * صلى الله عليه وسلم وعلى آله

وصحبه

وصحبه وتابعيهم خصوصا وارثيه الذين اشاد الله تعالى لهم في الخافقين ذكرا * أما بعد فقد قال الله تعالى في كتابه المبين وهو أصدق القائلين (بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير) وسنتكلم ان شاء الله تعالى على بعض فوائد هذه الآية الكريمة وعلى بعض فوائد آيات من أول سورة والنجم ثم نورد حديث قصة الاسراء والمعراج ونتكلم على بعض فوائد ذلك ان شاء الله تعالى مستمدا من الله تعالى المعونة والهداية والكفاية والرعاية (فنقول) سبب نزولها كما قاله الامام أبو حيان أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر الاسراء به كذبوه فانزلها الله تعالى ووجه اتصال هذه السورة بما قبلها ومناسبتها لها انه تعالى لما أمره صلى الله عليه وسلم بالصبر ونهاه عن الحزن عليهم وان يضيق صدره من مكرهم وكان من مكرهم نسبته الى الكذب والسحر والشعر وغير ذلك مما رموه به أعقب الله تعالى ذلك بشرفه وفضله واحتفائه وعلو منزلته عنده بذكر الاسراء في أول هذه السورة وأيضا لما أمره بالصبر في آخر السورة المتقدمة بقوله واصبر وما صبرك الا بالله والصبر هو التحمل للمكاره والتحمل من جملة ما يؤدى الى التجمل ومنه ما ذكره في أول هذه السورة * وقد روى البخارى عن ابن مسعود أنه قال في سورة بنى اسرائيل والكهف ومريم وطه والانبياء هن من العتاق الاول وهن من تلادى والعتاق بكسر العين المهملة جمع عتيق والعرب تجعل كل شئ بلغ الغاية في الجودة عتيقا والاول بضم الهمزة وفتح الواو المخففة والاولية باعتبار حفظها

أو باعتبار نزولها لانها مكيات وقوله من تلادى بكسر التاء الفوقية وتخفيف اللام وبعد الالف دال مهملة أى مما حفظته قديما وهو ضد الطارف ومراده ان لهن فضلا باعتبار ما تقدم وما تضمنه مفتتح كل منها من أمر غريب وقع فى العالم خارق للعادة وهو الاسراء وقصة أصحاب الكهف وقصة مريم وهذا وجه فى ترتيبها وهو اشتراكها فى قدم النزول وكونها مكيات وكلها مشتملة على القصص * وروى الامام أحمد عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى كل ليلة بنى اسرائيل والزمر * والحكمة فى افتتاح هذه السورة بالتسبيح كما قاله فى زاد المسير وجهان * أحدهما ان العرب تسبح عند الامر العجيب فكأن الله سبحانه وتعالى عجب خلقه مما أسدى الى رسوله صلى الله عليه وسلم من الاسراء به * الثانى ان يكون خرج مخرج الرد عليهم لانه صلى الله عليه وسلم لما حدثهم عن الاسراء كذبوه فيكون المعنى تنزه الله تعالى ان يتخذ رسولا كذابا (فان قلت) ما الحكمة فى افتتاح سورة الاسراء بالتسبيح والكهف بالتحميد (أجيب) بان التسبيح حيث جاء قدم على التحميد نحو فسبح بحمد ربك سبحان الله والحمد لله لان التسبيح هو التنزيه والحمد هو الثناء فالاول من باب التخلية والثانى من باب التحلية والتخلية مقدمة على التحلية وأجيب أيضا بان سورة سبحان لما اشتملت على الاسراء وكذب المشركون به النبى صلى الله عليه وسلم وتكذيبه تكذيب لله تعالى أتى بسبحان لتنزيه الله عز وجل عما لا يليق به وينسب اليه من الكذب وسورة الكهف لما نزلت بعد سؤال المشركين عن قصة أصحاب الكهف وتأخر

الوحى نزلت مبينة ان الله تعالى لم يقطع نعمته عن نبيه صلى الله عليه وسلم ولا عن المؤمنين بل أتم عليهم النعمة بانزال الكتاب فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة * وأما سبحان فهو اسم بمعنى التسبيح الذى هو التنزيه فهو اسم واقع موقع المصدر ولا يكاد يستعمل الا مضافا وقد يستعمل علما فيقطع عن الاضافة ويمنع من الصرف وانتصابه بفعل مضمر أى أسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ لان فى حذف العامل واقامته مقامه الدلالة على ان المقصود بالذات هو المصدر والفعل تابع فيفيد الاخبار بسرعة وجود التنزيه واذا قلنا بانه علم للتسبيح فالعلم على نوعين علم شخصى وعلم جنسى ثم انه يكون تارة للعين وتارة للمعنى فهذا من العلم الجنسى الذى يكون للمعنى (فان قلت) لفظ سبحان واجب الاضافة فكيف الجمع بين العلمية والاضافة (أجيب) بانه ينكر ثم يضاف كما قال الشاعر

علا زيدنا يوم النقا رأس زيدكم * بأبيض ماضى الشفرتين يمانى

والتسبيح مما استأثر الله به كما قال بعضهم فبدأ بالمصدر أى بالاسم الموضوع موضعه فى بنى اسرائيل لان المصدر الاصل ثم بالماضى فى الحديد والحشر والصف لانه أسبق الزمانين ثم بالمضارع فى الجمعة والتغابن ثم بالامر فى الاعلى استيعابا لهذه الكلمة من جميع جهاتها فهو ذكر يعظم الله تعالى به مختص به لا يصلح لغيره ولا يستعمل الا فيه وأما قول الشاعر

* سبحان من علقمة الفاخر * فعلى سبيل الشذوذ أى العجب من علقمة اذ يفخر والعرب تقول سبحان من كذا اذا تعجبت منه

قال الراغب وقول الشاعر سبحان من علقمة الفاخر تقديره سبحان علقمة على التهكم فزاد فيه من ردا الى أصله وقيل أراد سبحان الله من أجل علقمة فحذف المضاف اليه انتهى فعلى الثانى لاشذوذ فيه لانه ما استعمل فى غير الله لانه مضاف اليه وقد حذف المضاف اليه وهو مراد للعلم به وأبقى المضاف على حاله مراعاة لاغلب أحواله أعنى التجرد عن التنوين وعلى ذلك لاشاهد فيه على العلمية لانه مضاف وفى الوجه الاول نظر لان من لاتزاد فى الاثبات وعلقمة صحابى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايع وهو شيخ واستعمله عمر رضى الله عنه على حوران ومات بها * وفى الاستيعاب علقمة بن علاثة الكلابى العامرى من المؤلفة قلوبهم كان سيدا فى قومه حليما عاقلا ولم يكن فيه ذلك الكرم * وأما معناه فقد روى الحاكم ان طلحة بن عبيد الله رضى الله تعالى عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى سبحان الله فقال تنزيه الله من كل سوء * وروى ابن أبى حاتم عن على رضى الله تعالى عنه قال سبحان الله كلمة أحبها الله لنفسه ورضيها وأحب ان تقال له (وقال) الكرمانى وغيره اعلم أنه تعالى له صفات سلبية مثل لاشريك له ولاضد ولاند وكذا سائر التنزيهات وتسمى بصفات الجلال وله تعالى صفات وجودية كالعلم والقدرة وتسمى بصفات الاكرام فالتسبيح اشارة الى الاولى وأصل ذلك الاقتباس من قوله تعالى ذو الجلال والاكرام وحاصل المعنى تنزيه الحق تعالى نفسه المقدسة عن جميع شوائب النقص وتبعيده عن السوء فى الذات والصفات والافعال والاسماء والاحكام فيلزم نفى الشريك والصاحبة والولد

وجميع

وجميع الرذائل من سبح فى الارض اذا ذهب فيها وأبعد أى ما أبعد
الذى له هذه القدرة عن جميع النقائص وصدر به هنا التنزيه فاعل
ما بعده عن النقائص أو لتنزيهه تعالى عن العجز عن اسرائه بعبده
ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى * وقد ورد فى فضل
التسبيح ما رواه مسلم وغيره عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أخبرك بأحب الكلام الى
الله سبحانه وتعالى ان أحب الكلام الى الله سبحانه وتعالى سبحان
الله وبحمده وفى رواية الترمذى سبحان ربى وبحمده وفى رواية
لمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أى الكلام أفضل قال
ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده سبحان الله وبحمده وهذا محمول
على كلام الآدميين والا فالقرآن أفضل من التسبيح والتهليل
المطلق وأما المأثور فى وقت أو حال فالاشتغال به أفضل * وفى صحيح
مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة غفرت
ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر قال الطيبى يوم مطلق لم يعلم فى أى
وقت من أوقاته وقال غيره ظاهر الاطلاق يشعر بانه يحصل
هذا الاجر المذكور لمن قال ذلك مائة مرة سواء أقالها متوالية
أو متفرقة فى مجالس أو بعضها أول النهار وبعضها آخره وقوله
غفرت ذنوبه أى الصغائر من حقوق الله تعالى خاصة لان حقوق
الناس لا تغفر الا باسترضاء الخصوم * وروى البزار عن عبد الله بن عمرو
رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال
سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة فى الجنة * وأخرج

الطبرانى فى الاوسط والخرائطى وابن مردويه عن ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال اذا أصبح سبحان الله
وبحمده الف مرة فقد اشترى نفسه من الله وكان آخر يومه عتيق
الله * قال الحافظ الهيتمى فى مجمع الزوائد بعد ايراده ما رواه الطبرانى
فى الاوسط وفيه من لم أعرفه اه وهذه فائدة عظيمة ينبغى ان
يحافظ عليها وغنيمة جسيمة يبادر الى الاعتناء بها والمداومة عليها
ويشبهها ما تداولته السادة الصوفية من قول لا اله الا الله سبعين
ألف مرة ويذكرون ان الله تعالى يعتق بها رقبة من قالها واشترى بها
نفسه من النار أو رقبة من يقولها عنه ويشترى بها نفسه من
النار ويحافظون على فعلها لانفسهم ولمن مات من أهاليهم
واخوانهم وقد ذكرها الامام اليافعى والعارف الكبير المحيوى ابن
عربى وأوصى بالمحافظة عليها وذكروا انه قد ورد فيها خبر نبوى
وحكوا ان شابا صالحا كان من أهل الكشف ماتت أمه فصاح
وبكى وخر مغشيا عليه ثم سئل عن سبب ذلك فذكر انه رأى أمه فى
النار وكان بعض المشايخ من السادة الصوفية حاضرا وكان قد
قال هذه السبعين ألفا واراد ان يعدها لنفسه فقال فى نفسه
عندما سمع قول الشاب المذكور اللهم انك تعلم انى هللت هذه
السبعين ألف تهليلة وأريد ان أذخرها لنفسى وأشهدك انى قد
اشتريت بها أم هذا الشاب من النار فما استتم هذا الوارد الا وتبسم
الشاب وسر وقال الحمد لله أرى أمى قد أخرجت من النار وأمر بها
الى الجنة فقال الشيخ المذكور فحصل لى فائدتان صدق الخبر
المذكور وصحته وصدق كشف هذا الشاب اه لكن الحديث

المذكور

المذكور قال بعض المشايخ لم ترد به السنة فيما أعلم * وقد وقفت
على صورة سؤال للحافظ ابن حجر العسقلانى رحمه الله تعالى عن هذا
الحديث وهو من قال لا اله الا الله سبعين ألفا فقد اشترى نفسه من
الله تعالى هل هو حديث صحيح أو حسن أو ضعيف وصورة جوابه
أما الحديث يعنى المذكور فليس بصحيح ولا حسن ولا ضعيف بل هو
باطل موضوع لاتحل روايته الا مقرونا ببيان حاله انتهى لكن
ينبغى للشخص أن يفعلها اقتداء بالسادة الصوفية وامتثالا لقول
من أوصى بها وتبركا بأفعالهم وقد ذكرها الشيخ الولى الزاهد سيدى
محمد بن عراق نفعنا الله تعالى ببركاته فى بعض سفيناته المؤلفة وقال
كان شيخه يأمر بها وذكر أن بعض اخوانه ذكر له عن بعض الصلحاء
انه كانت له سبحة عددها ألف وكان يديرها سبعين مرة من بعد صلاة
الصبح الى طلوع الشمس قال وهذه كرامة له من الله تعالى فنسأل الله
تعالى أن يمن علينا بذلك وأن يلحقنا بعباده الصالحين انتهى * وعن
شريح العابد قال بلغنى انه لو قسم ثواب تسبيحة على جميع هذا
الخلق لاصاب كل واحد منهم خير والفضائل كثيرة شهيرة وفيما
ذكرناه كفاية لمن له بصيرة (وقوله تعالى أسرى بعبده) قال أهل
اللغة أسرى وسرى لغتان زاد بعضهم انهما مختصان بسير الليل
وأسرى لازم كسرى فيحتاج الى التعدية والهمزة هنا ليست
للتعدية خلافا لابن عطية وانما المعدى الباء فى بعبده ولا تقتضى
مصاحبة الفاعل للمفعول فى الفعل عند الجمهور خلافا للمبرد
والسهيلى والعبد فى اللغة المملوك من نوع من يعقل وقال فى
المحكم العبد الانسان حرا كان أو رقيقا لانه مملوك لبارئه وقال

سيبويه انه فى الاصل صفة ولكنه استعمل استعمال الاسماء
وأجمع المسلمون على ان المراد بالعبد هنا سيدنا محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال هنا بعبده دون نبيه أو حبيبه لئلا تضل
أمته كالنصارى أو لان وصفه بالعبودية المضافة الى الله تعالى
أشرف المقامات قال الاستاذ أبو على الدقاق رحمه الله تعالى ليس
للمؤمن صفة أتم ولا أشرف من العبودية ولهذا أطلقها الله تعالى
على نبيه فى أشرف المواطن كقوله سبحان الذى أسرى بعبده
الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب تبارك الذى نزل الفرقان على
عبده فأوحى الى عبده ما أوحى * وقال البرهان النسفى رحمه الله تعالى
قيل لما وصل النبى صلى الله عليه وسلم الى الدرجات العالية
والمراتب الرفيعة فى المعراج أوحى الله تعالى اليه يا محمد بم أشرفك
قال يارب بان تنسبنى الى نفسك بالعبودية فأنزل الله تعالى سبحان
الذى أسرى بعبده وفى معنى ذلك قيل

لا تدعنى الا بيا عبدها * فانه أشرف أسمائى

وأقوال العلماء فى العبد والعبودية كثيرة وكل أحد تكلم بلسان
قاله على قدر مقامه وحاله فقال ابن عطاء الله العبد الذى لا ملك له
وقال رويم يتحقق العبد بالعبودية اذا سلم القياد من نفسه الى ربه
وتبرأ من حوله وقوته وعلم ان الكل له وبه * وقال عبد الله بن محمد
حزت صفة العبودية ان كنت لا ترى لنفسك ملكا وتعلم انك لا تملك
لها نفعا ولا ضرا وما أحسن ما قيل فى هذا القبيل

وكنت قديما أطلب الوصل منهم * فلما أتانى العلم وارتفع الجهل
تيقنت ان العبد لا طلب له * فان قربوا فضل وان أبعدوا عدل

وان

وان أظهروا لم يظهروا غير وصفهم
وان ستروا فالستر من أجلهم يحلو

(قال) الامام الرازى دل قوله تعالى بعبده على ان الاسراء كان بجسد رسول الله صلى الله عليه وسلم لان العبد اسم للجسد والروح قال الله تعالى أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى وانه لما قام عبد الله يدعوه * وقوله تعالى ليلا هو ظرف للاسراء واستشكل كثير من الناس كون ليلا ظرفا للاسراء لانه تقدم ان الاسراء هو سير الليل فاذا أطلق الاسراء فهم منه انه واقع ليلا فهو كالصبوح فى شرب الصباح لا يحتاج الى قوله شربت الصبوح صباحا وجوابه ان الامر وان كان كذلك الا ان العرب تفعل مثل ذلك فى بعض الاوقات اذا أرادت تأكيد الامر والتأكيد نوع من أنواع كلامهم وأسلوب منه والعرب تقول أخذ بيده وقال بلسانه وقال بعضهم فائدة التأكيد هنا رفع توهم المجاز لانه قد يطلق على سير النهار أيضا وقال الزمخشرى أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وانه وقع السرى به فى بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة أربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه قد دلت على معنى البعضية وقال يشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل أى بعض الليل وقال غيره فكان المعنى سبحان الذى أسرى بعبده فى ليل واحد من كذا الى كذا وهو موضع التعجب وانما عدل عن ليلة الى ليل لانهم اذا قالوا اسرى ليلة كان ذلك فى الغالب لاستيعاب الليلة بالسرى فقيل ليلا أى فى ليل (قال) ابن المنير رحمه الله تعالى وانما كان الاسراء ليلا لانه وقت الخلوة والاختصاص عرفا ولانه وقت الصلاة التى كانت مفروضة عليه

فى قوله تعالى قم الليل وليكون أبلغ للمؤمن بالايمان بالغيب وفتنة
للكافر * وقال بعض أهل الاشارات لما محا الله آية الليل وجعل
آية النهار مبصرة انكسر الليل فجبر بان أسرى فيه بمحمد صلى الله
عليه وسلم (قال) ابن دحية أكرم نبينا صلى الله عليه وسلم ليلا بامور
منها انشقاق القمر وايمان الجن به ورأى اصحابه نيرانهم كما فى صحيح
مسلم وخرج الى الغار ليلا والليل أصل ولهذا كان أول الشهر
وسواده يجمع ضوء البصر ويحد كليل النظر ويستلذ فيه بالسمر
وكان صلى الله عليه وسلم أكثر اسفاره ليلا وقال عليه الصلاة
والسلام عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل والليل وقت
الاجتهاد للعبادة وكان صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تورمت قدماه
وكان قيام الليل فى حقه واجبا فلما كانت عبادته ليلا أكرم بالاسراء
فيه وليكون أجر المصدق به أكثر ليدخل فيمن آمن بالغيب دون من
عاينه نهارا وقدم الحق تبارك وتعالى ذكر الليل فى كتابه على ذكر
النهار فقال عز وجل وجعلنا الليل والنهار آيتين وهو الذى جعل
الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا الى غير ذلك
من الآيات وصح انه صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا تبارك وتعالى
كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخير فيقول من
يدعونى فاستجيب له ومن يسألنى فاعطيه ومن يستغفرنى فاغفر له
الحديث وهذه الخصيصة لم تجعل للنهار نبه بها صلى الله عليه وسلم
لما فى ذلك الوقت من الليل من سعة الرحمة ومضاعفة الاجر وتعجيل
الاجابة ولابطال كلام الفلاسفة ان الظلمة من شأنها الاهانة والشر
ولان الله تعالى اكرم اقواما فى الليل بانواع الكرامات كقوله فى قصة

ابراهيم صلى الله عليه وسلم فلما جن عليه الليل الآية وفى لوط صلى الله عليه وسلم بقوله فأسر باهلك بقطع من الليل وفى موسى صلى الله عليه وسلم وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وناجاه ليلا وأمره باخراج قومه ليلا اه ومن هنا اختلف فى التفضيل بين الليل والنهار وصنف فيه بعضهم كتابا فرجح الليل بوجوه منها ما تقدم آنفا ومنها سبقه النهار أى تقدمه عليه فى الخلق وفيه ساعة الاجابة كما تقدم وهى فى كل الليالى بخلاف الايام فهى منها فى يوم الجمعة فقط * ورجح النهار بوجوه منها قوله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم عرفة أو يوم الجمعة لكن رد بان هذا بالنسبة للايام لا الليالى وبأن ليلة القدر خير من ألف شهر وقد دخل فى هذه الليلة أربعة آلاف جمعة (قلت) ومن أعظم الادلة القاطعة للنزاع الدالة على تفضيل الليل وقوع رؤية الله تعالى فيه للنبى صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء ونزول القرآن فيه كما يدل عليه قوله تعالى انا أنزلناه فى ليلة القدر الآية والله أعلم (قال) أبو امامة بن النقاش رحمه الله تعالى ليلة الاسراء أفضل من ليلة القدر فى حق النبى صلى الله عليه وسلم وليلة القدر أفضل فى حق الامة لانها لهم خير من عمل أكثر من ثمانين سنة ممن كان قبلهم وأما ليلة الاسراء فلم يأت فى أرجحية العمل فيها حديث صحيح ولا ضعيف ولذلك لم يعينها النبى صلى الله عليه وسلم وقول الامام البلقينى رحمه الله تعالى فى قصيدته التى مدح فيها النبى صلى الله عليه وسلم

اولا رؤيته فى ليلة فضلت * ليالى القدر فيها الرب رضا كا

يؤخذ منه ان ليلة الاسراء أفضل من ليلة القدر ولعل الحكمة فى

ذلك كما قاله فى الاصطفاء اشتمالها على رؤيته التى هى أفضل كل شئ
ولذلك لم يجعلها ثوابا عن عمل من الاعمال مطلقا بل من بها على عباده
المؤمنين يوم القيامة تفضلا منه تعالى انتهى وهذا يؤيد ماقدمناه
آنفا فى تفضيل الليل لكن يبقى النظر فى تحرير محل الخلاف
وقد حرره بعضهم كما وجد بخط الحافظ ابن حجر نقلا عن المهدوى
فقال ان كان المراد ان ليلة الاسراء ونظائرها من كل عام أفضل
من ليلة القدر بحيث يكون قيامها والدعاء فيها أفضل من ليلة
القدر فهذا باطل لم يقله أحد من المسلمين وهو معلوم الفساد
بالاضطرار وان اراد الليلة المعينة التى أسرى فيها بالنبى صلى الله
عليه وسلم وحصل له فيها مالم يحصل له فى غيرها من غير أن يشرع
تخصيصها بقيام ولا عبادة فهذا صحيح ان قام دليل على ان انعام الله
تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء كان أعظم من انعامه
عليه بانزال القرآن ليلة القدر وهذا لا يعلم الا بوحى ولا يجوز لاحد ان
يتكلم فيه بلا علم ولا يعرف عن أحد من الصحابة انه خص ليلة
الاسراء بامر من الامور ولهذا لا يعرف أى ليلة كانت وان كان
الاسراء فى نفسه من أعظم فضائله كما انه صلى الله عليه وسلم لم يفضل
غار حرا الذى أنزل عليه فيه الوحى ولا خص اليوم الذى ابتدئ فيه
بالوحى بشئ انتهى وظاهر هذا الكلام ان الخلاف بين الليلة
المعينة التى أسرى فيها بالنبى صلى الله عليه وسلم وبين ليلة القدر
التى أنزل فيها القرآن كما يدل عليه قوله ان قام دليل على ان انعام
الله تعالى على نبيه ليلة الاسراء كان أعظم من انعامه عليه بانزال
القرآن ليلة القدر وأما الليلة المعينة التى أسرى به صلى الله عليه

وسلم

وسلم فيها وليلة القدر من كل عام فينبغي ان يكون فيها قول أبي امامة
ابن النقاش المتقدم وأما نظائر الليلة المعينة من كل عام فلا شك في ان
ليلة القدر من كل عام أفضل منها لما لا يخفى (وقوله تعالى من المسجد
الحرام) من لابتداء الغاية والمسجد لغة مفعل بالكسر اسم لمكان
السجود وبالفتح اسم المصدر واما شرعا فكل موضع من الارض
لقوله صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجدا وتربتها طهورا
ولما كان السجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه اشتق
اسم المكان منه فقيل مسجد ولم يقولوا مركع ثم ان العرف خصص
المسجد بالمكان المهيأ للصلوات الخمس حتى يخرج المصلى المجتمع فيه
للاعياد ونحوها فلا يعطى حكمه وكذلك الربط والمدارس فانها
هيئت لغير ذلك والحرام أي المحرم وهو ضد الحلال وذلك لما منع
المحرم فيه مما يجوز لغيره ولما منع في الحرم مما يجوز في غيره من البلاد
(قال) الماوردي كل موضع ذكر الله فيه المسجد الحرام فالمراد به
الحرم الا في قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام فانه أراد به
الكعبة (وقال) بعضهم المراد بالمسجد الحرام في قوله تعالى سبحان
الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام مكة لانه صلى الله عليه
وسلم كان في بيت أم هانئ * وأول مسجد وضع على الارض المسجد
الحرام وهو مسجد مكة شرفها الله تعالى كما قال تعالى ان أول بيت
وضع للناس للذي ببكة مباركا وفي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله تعالى
عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع
على الارض قال المسجد الحرام قلت ثم أي قال المسجد الاقصى قلت
وكم بينهما قال أربعون عاما الحديث وقد اشكل هذا الحديث على

بعضهم فقال معلوم ان سليمان بن داود صلى الله عليهما وسلم لما بنى
بيت المقدس سأل الله تعالى ثلاثا الحديث الآتي ان شاء الله تعالى
وهو بعد ابراهيم صلى الله عليه وسلم كما قاله أهل التاريخ بأكثر من
ألف عام وهذا القائل جهل التاريخ فان سليمان عليه الصلاة
والسلام انما كان له من المسجد الاقصى تجديده لا تأسيسه والذى
أسسه هو يعقوب بن اسحق صلى الله عليهما وسلم بعد بناء ابراهيم
الكعبة بهذا القدر وقال بعضهم ان هذين المسجدين وضعا قديما
ثم خربا ثم بنيا انتهى وزعم بعضهم ان أول من بنى البيت آدم وان
غيره من ولده وضع بيت المقدس بعده بأربعين عاما حكاه ابن الجوزى
وغيره وذكر ابن هشام فى التيجان ان آدم عليه الصلاة والسلام لما
بنى البيت أمره جبريل بالمسير الى بيت المقدس وان يبنيه فبناه
ونسك فيه (وقوله تعالى الى المسجد الاقصى) كلمة الى لانتهاء الغاية
ومدلولها هنا انه وصل الى حد ذلك المسجد ولا دلالة فى اللفظ على انه
دخل لكن القرينة تدل على دخوله وهى العلم بانه انما أسرى به الى
بيت المقدس ليدخله ويبعد أن يسرى به الى بيت المقدس ولا يدخله
وصرحت السنة الصحيحة بما اقتضته القرينة من دخوله صلى
الله عليه وسلم المسجد الاقصى وهو الذى عمره نبى الله سليمان صلى الله
عليه وسلم بأمر الله عز وجل كما تقدم وما زال مكرما محترما وهو أحد
المساجد الثلاثة التى لا تشد الرحال شرعا الا اليها أى لا يقصد بالزيارة
والتعظيم من جهة أمر الشارع الا هذه الثلاثة * وقد روى
النسائى وابن ماجه وغيرهما ان سليمان لما بنى بيت المقدس سأل الله
تعالى ثلاثا سأله ملكا لا ينبغى لاحد من بعده فاعطاه اياه وسأله حكما

بواطئ حكمه فاعطاه اياه وسأله من أتى هذا البيت يريد بيت المقدس لا يريد الا الصلاة فيه أن يخرجه من ذنوبه كيوم ولدته أمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ارجو ان يكون قد اعطاه الثالثة وروى أبو داود وابن ماجه عن ميمونة قالت قلت يارسول الله أفتنا فى بيت المقدس قال أرض المحشر والمنشر ائتوه فصلوا فيه فان صلاة فيه كالف صلاة فى غيره قلت ارايت ان لم استطع اصلى فيه قال فتهدى له زيتا يسرج فيه فمن فعل ذلك فهو كمن اتاه * وهو معدن الانبياء من لدن الخليل صلى الله عليه وسلم ولذا اجتمعوا له هنالك كلهم وامهم فى محلتهم ودارهم ليدل ذلك على انه الرئيس المقدم والامام الاعظم صلى الله عليه وسلم (والاقصى) افعل من القصى والقاصى هو البعيد وسمى بالاقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام فبينهما مسافة ثلاثين يوما عادة أولانه لم يكن وراءه مسجد فثبت له هذا النعت وان كان وراءه بعد مساجد هى أقصى منه لان العلة اذا ثبتت لسبب لم يضر زوال ذلك السبب * ويحتمل ان يريد بالاقصى البعيد دون مفاضلة فافعل التفضيل ليس على بابه وكان أقصى أى أبعد مسجد عن أهل مكة يعظم بالزيارة وقيل وصفه بالاقصى منهم أى من العرب أو من الكعبة أو من أهل مكة أو من النبى صلى الله عليه وسلم (قال) الامام ابن أبى جمرة والحكمة فى اسرائه صلى الله عليه وسلم أولا الى بيت المقدس لاظهار الحق على من عاند لانه لو عرج به من مكة الى السماء لم يجد لمعاندة الاعداء سبيلا الى البيان والايضاح فلما ذكر انه أسرى به الى بيت المقدس سألوه عن أشياء من بيت المقدس كانوا رأوها وعلموا انه لم يكن رآها قبل ذلك فلما

أخبرهم بما حصل التحقيق بصدقه فيما ذكر من الاسراء به الى بيت المقدس فى ليلة واذا صح خبره فى ذلك لزم تصديقه فى بقية ما ذكره انتهى * وقيل الحكمة فى ذلك ليحصل له العروج مستويا من غير تعويج لما روى عن كعب ان باب السماء الذى يقال له مصعد الملائكة يقابل بيت المقدس قال وهو أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا قال بعض الحفاظ وفيه نظر * وقيل الحكمة فى ذلك ان الله تعالى أراد ان يريه القبلة التى صلى اليها مدة كما عرف الكعبة التى صلى اليها * وقيل لانه مجمع أرواح الانبياء فاراد الله تعالى ان يشرفهم بزيارته صلى الله عليه وسلم * وقيل لانه هجرة غالب الانبياء فحصل له الرحيل اليه فى الجملة ليجمع بين أشتات الفضائل (وقال) ابن دحية يحتمل ان يكون الحق سبحانه وتعالى أراد ان لا يخلى تربة فاضلة من مشهده ووطء قدمه فتمم تقديس بيت المقدس بصلاة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فيه فلما تم تقديسه أخبر صلى الله عليه وسلم انه لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام لانه مولده ومسقط رأسه وموضع نبوته ومسجد المدينة لانه محل هجرته وأرض تربته ومسجد الاقصى لانه موضع معراجه صلى الله عليه وسلم * وما أحسن قول بعض العارفين فى رمزه لتلك الحقائق البالغة نهاية التمكين

ومسجدى الاقصى مساحب بردها * وطيبى ثرى أرض عليها تمشت

(وقوله تعالى الذى باركنا حوله) البركة الزيادة والنماء قال الراغب البركة ثبوت الخير الالهى فى الشئ والمبارك ما فيه ذلك الخير (فان قيل) كيف قال باركنا حوله ولم يقل باركنا عليه أو فيه مع ان البركة

فى المسجد تكون أكثر من خارج المسجد وحوله خصوصا المسجد الاقصى (قلنا) أراد البركة الدنيوية كالانهار الجارية والاشجار المثمرة وذلك حوله لا فيه * وقيل أراد البركة الدينية فانه مقر الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومتعبدهم ومهبط الوحى والملائكة * وانما قال باركنا حوله لتكون بركته أعم وأشمل فانه أراد بما حوله ما أحاط به من أرض الشام وما قاربه منها وذلك أوسع من مقدار بيت المقدس ولانه اذا كان هو الاصل وقد بارك فى لواحقه وتوابعه من البقاع كان هو مباركا فيه بالطريق الاولى بخلاف العكس * وقيل أراد البركتين الدنيوية والدينية وفيه ما مر من التوجيه * وقيل المراد باركنا حوله من بركة نشأت منه فعمت جميع الارض لان مياه الارض كلها أصل انفجارها من تحت صخرة بيت المقدس انتهى (فان قيل) اذا كانت البركة حول المسجد الاقصى كما ذكرتم فماذا يتميز عليه المسجد الحرام (أجيب) بان البركة حول المسجد الاقصى اما باعتبار الدنيا ورفاهيتها وخصبها والبركة حول المسجد الحرام باعتبار الدين والفضل وتضعيف الحسنات فيه للطائفين والعاكفين والمتوطنين والوافدين لان الاجر يكون على قدر النصب وهو واد غير ذى زرع نزهه الله تعالى عن خصب الدنيا وسعتها لئلا يكون القصد اليه ممزوجا بقصد الدنيا وهذه البركة الدينية أفضل من تلك البركة الدنيوية انتهى وأما ان يكون المراد بالبركة فى المسجد الاقصى البركتين الدنيوية والدينية فالبركة الدينية التى فى المسجد الحرام تفضلها باعتبار ما تقدم (وحوله) منصوب على الظرفية أى أوقعنا البركة حوله وحول الشئ جانبه الذى يمكنه ان يتحول اليه

والضمير فيه راجع الى المسجد الأقصى (وقوله تعالى لنريه من آياتنا) قرأ العامة بنون العظمة جريا على باركنا وفيه التفات من الغيبة فى قوله أسرى بعبده الى التكلم فى باركنا ولنريه من آياتنا وطريقة الالتفات من طرق البلاغة ففى الآية التفاتان فالالتفات الاول كما تقدم والالتفات الثانى هو من التكلم الى الغيبة فى قوله انه هو السميع البصير بناء على ان الضمير فيه راجع لله تعالى كما سيأتى ووجه ذلك ان قوله سبحان الذى أسرى بعبده يدل على مسراه من عالم الشهادة الى عالم الغيب فهو بالغيب أنسب وقوله الذى باركنا حوله دال على انزال البركات وتعظيم شأن المنزل فهو بالحكاية على التفخيم أحرى وكذا قوله لنريه من آياتنا يدل على عظمة الاراءة والآيات المرئية فهو أولى بالتعظيم والحكاية على التفخيم أيضا (وقوله تعالى انه هو السميع البصير) اشارة الى مقام اختصاصه بالمنح والزلفى وغيبة شهوده فى عين بى يسمع وبى يبصر فالعود الى الغيبة أولى وقرأ الحسن ليريه بالياء التحتية أى الله تعالى فعلى هذه القراءة يكون فى الآية أربع التفاتات فالثالث والرابع هو الالتفات من التكلم فى باركنا الى الغيبة فى ليريه ثم التفت الى التكلم فى آياتنا ووجهه انه فى ليريه اعادة الى مقام السر والغيبة من هذا العالم فالغيبوبة بها أليق وقوله من آياتنا عود الى التعظيم على ما سبق ومعنى الرؤية هو ما رأى تلك الليلة من عجائب السموات والارض والآيات الدالة على قدرة الله تعالى ومنها ما ذكر فى القصة من ذهابه فى برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثيل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم * ومن هنا للتبعيض وانما

أتى

أتى بها هنا تعظيما للآيات الله تعالى فان هذا الذى رآه محمد صلى الله عليه وسلم وان كان جليلا عظيما فهو بعض بالنسبة الى جملة آيات الله تعالى وعجائب قدرته وجليل حكمته والرؤية هنا بصرية وقيل قلبية واليه نحا ابن عطية فانه قال ويحتمل ان يريد ليرى محمدا للناس آية أى يكون النبى صلى الله عليه وسلم آية فى انه يصنع الله تعالى ببشر هذا الصنع فتكون الرؤية قلبية على هذا والآية العلامة الظاهرة على ما يلازمها فآية الشئ علامته الظاهرة ثم غلب ذلك على صدق الرسل وعلى الالهية وكرامات الاولياء وما أشبه ذلك (فان قيل) الآية تدل على انه تبارك وتعالى ما أراه الا بعض الآيات وقال فى حق ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وذلك يدل على انه تعالى اراه جميع الآيات فيلزم ان يكون معراج ابراهيم افضل من معراج محمد صلى الله عليه وسلم (اجيب) بأن ملكوت السموات والارض بعض آيات الله تعالى أيضا بعضا مخصوصا والبعض المطلق افضل من البعض المخصوص اذ المطلق ينصرف الى الكامل والجواب المشهور عنه هو ان بعض آيات الله افضل من ملكوت السموات والارض اهـ (وقوله تعالى انه هو السميع البصير) الصحيح ان الضمير فى انه لله تبارك وتعالى أى انه هو السميع لاقوال محمد البصير بافعاله وقال بعض المحققين ولا بعد ان يرجع الضمير الى العبد وهو النبى صلى الله عليه وسلم كما نقله ابو البقاء عن بعضهم قال انه هو السميع لكلامنا البصير لذاتنا وأما توسط ضمير الفصل فللاشعار باختصاصه بهذه الكرامة وحده ولعل السر فى مجئ الضمير محتملا للامرين الاشارة

الى المطلوب وانه صلى الله عليه وسلم انما رأى رب العزة به وسمع
كلامه به (قال) الماوردى فى الحكمة فى الاتيان بالسميع البصير
هنا وجهان أحدهما انه تعالى وصف نفسه بهما وان كانا من
صفاته اللازمة لذاته فى الاحوال كلها لانه حفظ رسوله عند الاسراء
به فى ظلمة الليل فلم يضره أن لا يبصر فيها وسمع دعاءه فاجابه الى ماسأل
* الثانى ان قومه لما كذبوه حين أخبرهم باسرائه فقال السميع
يعنى لما يقولون من تصديق أو تكذيب البصير فيما يفعله من
الاسراء والمعراج اه وهذا بناء على ان الضمير لله تعالى وعليه
فالسميع هو الذى لا يعزب عن ادراكه مسموع وان خفى فيسمع
السر والنجوى بل ماهو ادق وأخفى يدرك دبيب النملة السوداء
فى الليلة الظلماء على الصخرة الصماء يسمع بغير أصمخة وآذان وسمعه
منزه ان يتطرق اليه الحدثان فالسمع فى حقه عبارة عن صفة
ينكشف بها كمال صفات المسموعات والبصير هو الذى يشاهد ويرى
ولا يعزب عنه ماتحت الثرى ابصاره منزه عن ان يكون بحدقة
واجفان مقدس عن انطباع الصور والالوان فى ذاته تعالى
كما ينطبع فى حدقة الانسان فالبصر فى حقه تعالى عبارة عن الصفة
التى ينكشف بها كمال نعوت المصنوعات وقد ختم الله تعالى وتقدس
الآية الدالة على اسرائه صلى الله عليه وسلم وما يتعلق به بهاتين
الصفتين العظيمتين لما ذكرنا (فان قلت) الاسراء والمعراج كانا
فى ليلة واحدة فهلا أخبرهم الله تعالى بعروجه الى السماء (قلت)
استدرجهم الى الايمان بذكر الاسراء أولا فلما ظهرت امارات صدقه
ووضحت لهم براهين رسالته واستأنسوا بتلك الآية الخارقة

أخبرهم

أخبرهم بما هو أعظم منها وهو المعراج فحدثهم النبي صلى الله عليه وسلم به وأنزله الله تعالى في كتابه في سورة النجم فقال (بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى) الآيات والكلام على بعض فوائد ذلك يحول الملال المالك فقوله تعالى والنجم اذا هوى سبب نزولها كما قاله المفسرون قول المشركين ان محمدا يختلق القرآن ومناسبتها لآخر ما قبلها ظاهرة لانه تعالى قال أم يقولون تقوله أى اختلق القرآن فنسبوه الى الشعر وقالوا هو كاهن هو مجنون فاقسم الله تعالى في أول هذه السورة انه ما ضل وان ما أتى به هو الوحي من عند الله والنجم مكية بالاجماع وهي أول سورة نزلت فيها سجدة وأول سورة أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقراءتها في الحرم والمشركون يسمعون وفيها سجد وسجد معه المؤمنون والمشركون والجن والانس غير أبي لهب فانه رفع حفنة من تراب الى جبهته وقال يكفي هذا كذا وقع في عبارة بعض المفسرين كابي حيان والسبكي غير أبي لهب وهو غريب وفي رواية الشيخين وغيرهما عن ابن مسعود وسجد الناس كلهم الا رجلا رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه فرأيته قتل كافرا وهو أمية بن خلف وفي رواية ابن أبي شيبة الا رجلين من قريش أرادا بذلك الشهرة وسمى أحد المبهمين امية بن خلف المتقدم والثاني الوليد بن المغيرة كما عند ابن سعد * وقال التقي السبكي في تفسيره وعن عروة بن الزبير ان عتبة بن أبي لهب وكان تحته ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد ان يخرج الى الشام فقال لآتين محمدا فلأوذينه فاتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم اذا هوى وبالذى دنى فتدلى ثم تفل

فى وجهه ورد عليه ابنته وطلقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان أبو طالب حاضرا فوجم لها وقال ما كان أغناك يا ابن اخى عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى أبيه فاخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من الدير فقال ان هذه ارض مسبعة فقال أبو لهب لاصحابه اغيثونا يامعشر قريش هذه الليلة فانى أخاف على ابنى من دعوة محمد فجمعوا جمالهم فاناخوها حولهم وأحدقوا بعتبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله اهـ كذا وقع عتبة بالتكبير وهو مشكل لان عتبة بن أبى لهب أسلم يوم الفتح هو وأخوه معتب وشهدا حنينا والظاهر ان الذى وقع له ذلك هو عتيبة بالتصغير ومات كافرا وكان عتيبة تزوج أم كلثوم وعتبة تزوج رقية ثم طلقها أيضا لما أسلمت ولم يدخلا بهما وقد تزوجهما عثمان بن عفان واحدة بعد واحدة وماتتا عنده والحديث المذكور قد ذكره فى الكشاف كما ذكره السبكى (وقال) الحافظ الجمال الزيلعى الحنفى رحمه الله تعالى فى تخريج احاديث الكشاف ما ملخصه روى بنى الحديث الذى فى الكشاف ابو نعيم فى كتابه دلائل النبوة فى الباب السادس والعشرين من حديث محمد بن اسحق عن عثمان بن عروة بن الزبير عن أبيه فذكره بلفظ المصنف الا انه مكان قوله حتى ضرب عتبة فقتله قال فضربه الاسد بيده ضربة واحدة فمات مكانه ورواه البيهقى فى دلائل النبوة والطبرانى فى معجمه فى ترجمة رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث زهير بن العلاء عن سعيد بن أبى

عروبة

عروبة عن قتادة فذكر القصة المذكورة بأطول من ذلك (ثم قال) وذكره الثعلبي عن عروة بلفظ المصنف من غير سند وفي آخره شعر حسان (ثم قال) وروى الحاكم في المستدرك في تفسير سورة تبت وذكر قصة فيها أن الذي دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقتله الاسد هو لهب بن أبي لهب. وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ورواه البيهقي في دلائل النبوة كذلك وقال هكذا قال العباس بن الفضل لهب ابن أبي لهب وعباس ليس بالقوي وأهل المغازي يقولون عتبة ابن أبي لهب ومنهم من يقول عتيبة انتهى (ولما) ساق الهيثمي في مجمع الزوائد القصة الطويلة التي أشرنا اليها آنفا في باب المغازي والسير قال عقبه رواه الطبراني هكذا مرسلا وفيه زهير بن العلاء وهو ضعيف انتهى * والواو في والنجم للقسم والنجم مقسم به (فان قيل) كيف اقسم بالنجم وهو مخلوق وقد ورد النهي عن القسم بغير الله تعالى (أجيب) عنه باوجه أحدها انه على حذف مضاف اي ورب النجم وكذا يقدر فيما يشابهه * الثاني ان العرب كانت تعظم هذه الاشياء وتقسم بها فنزل القرآن على ما يعرفونه * الثالث ان الاقسام انما يكون بما يعظمه المقسم أو يجله وهو فوقه والله سبحانه وتعالى ليس فوقه شئ فاقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته لانها تدل على بارئ وصانع لان ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل اذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل * وروى ابن ابي حاتم عن الحسن قال ان الله تعالى يقسم بما شاء من خلقه وليس لاحد ان يقسم الا بالله تعالى والقصد بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده (فان قيل) فما معنى القسم منه تعالى فانه ان كان لاجل المؤمن فهو مصدق بمجرد الاخبار من غير

قسم وان كان لاجل الكافر فلا يفيده (أجيب) بان القرآن نزل بلغة العرب ومن عادتها القسم اذا ارادت توكيد أمر * واجاب الاستاذ أبو القاسم القشيرى رحمه الله تعالى بأن الله تعالى ذكر القسم لكمال الحجة وتأكيدها وذلك ان الحكم يفصل باثنين اما بالشهادة واما بالقسم فذكر الله تعالى فى كتابه النوعين حتى لا يبقى لهم حجة فقال شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم وقال تعالى قل اى وربى انه لحق وعن بعض الاعراب انه لما سمع قوله تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق صاح وقال من ذا الذى أغضب الجليل حتى ألجأه الى اليمين * وقد اختلف المفسرون فى المراد بالنجم هنا على أقوال * أحدها انه الجملة من القرآن اذا نزلت وكل ما نزل منه شئ فى وقت فهو نجم قال ابن عباس فى تفسير هذه الآية اقسم بالقرآن اذا نزل نجوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع آيات وثلاث آيات وسورة وكان بين أوله وآخره عشرون سنة وهو قول مقاتل والضحاك ومجاهد والهوى على هذا القول النزول من أعلى الى أسفل وعلى هذا فسمى القرآن نجما لتفرقه فى النزول والعرب تسمى التفريق تنجيما والمفرق نجوما قال الرازى ففى هذا القسم استدلال بمعجزة النبى صلى الله عليه وسلم على صدقه وهو كقوله تعالى يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين * ثانيها انه عنى بالنجم الثريا والعرب تطلق اسم النجم على الثريا خاصة فلا يذكرونه بالاطلاق الا لها قال قائلهم

طلع النجم عشاء * ابتغى الراعى كساء

وقال أيضا

طلع النجم غديه * ابتغى الراعى شكيه

يعنى الثريا وهى تطلع العشاء فى الثلث الاخير من فصل الخريف قبل الشتاء بشهر وذلك مبادى قوة البرد لان آخر كل فصل شبيه بالذى بعده فلهذا طلب الراعى الكساء وتطلع بالغداة فى الصيف وقت أوان اللبن فلهذا طلب الشكية تصغير شكوة وهى جلد الرضيع يتخذ للبن أصغر من الوطب * وفى الحديث ما طلع نجم قط وفى الارض من العاهة شئ الا ارتفع رواه الامام أحمد وأراد بالنجم الثريا وقد صار النجم عند الاطلاق علما على الثريا بالغلبة ولا يكون علما على الثريا الا بالالف واللام فاذا أخرجت منه الالف واللام صار نكرة وأطلقوا على الثريا نجما وان كانت أنجما قال ابن دريد وهى سبعة أنجم ستة منها ظاهرة وواحد خفى يتحن الناس به أبصارهم * وقال غيره اختلفوا فى عدها وذكر القاضى عياض فى الشفاء انه صلى الله عليه وسلم كان يرى فيها اثنى عشر نجما وقال القرطبى فى كتاب أسماء النبى صلى الله عليه وسلم وصفاته انها لا تزيد على تسعة أنجم فيما يذكرون وهذا القول الثانى وهو ان المراد بالنجم الثريا قاله ابن عباس ومجاهد فى رواية عنهما واختاره ابن جرير والزمخشرى وقال السمين انه الصحيح * ثالثها ان النجم اسم جنس والمراد النجوم كلها وهذا قاله الحسن ومجاهد قال الرازى ومناسبة ذلك ان النجوم يهتدى بها فاقسم الله تعالى بها لما بينهما من المشابهة والمناسبة * رابعها ان المراد بالنجم الرجوم من النجوم يعنى ما ترمى به الشياطين وتسقط فى آثارهم عند استراقهم السمع وهذا قاله ابن عباس والحسن قال ابن كثير وهذا القول له اتجاه وقال الواحدى

وهذا القول ظاهر ونحن نشاهد هوى النجم اذا رمى به قال الماوردى وسببه ان الله تعالى لما اراد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم رسولا كثر انقضاض الكواكب قبل مولده ففزع أكثر العرب منها وفزعوا الى كاهن لهم ضرير كان يخبرهم بالحوادث فسألوه عنها فقال انظروا البروج الاثنى عشر فان انقض منها شئ فهو ذهاب الدنيا وان لم ينقض منها شئ فيحدث فى الدنيا أمر عظيم فاستشعروا ذلك فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو الامر العظيم الذى استشعروه فانزل الله تعالى والنجم اذا هوى أى ذلك النجم الذى هوى هو لهذه النبوة التى حدثت وقال ابن القيم انه أظهر الاقوال ووجهه أن الله تعالى أقسم بهذه الآية الظاهرة المشاهدة التى نصبها آية وحفظا للوحى من استراق الشياطين على ان ما أتى به رسوله صلى الله عليه وسلم حق لا سبيل للشيطان ولا طريق له اليه بل قد حرس بالنجم اذا هوى رصدا بين يدى الوحى وحرساله فالارتباط بين المقسم به والمقسم عليه فى غاية الظهور وفى المقسم به دليل على المقسم عليه خامسها ان المراد به النبى صلى الله عليه وسلم اذا هوى أى نزل ليلة المعراج وهذا قاله جعفر الصادق كما نقله القاضى عياض عنه قال بعضهم ويحتبى هذا القول الائمة من وجوه فانه صلى الله عليه وسلم نجم هداية خصوصا لما هدى اليه من فرض الصلاة تلك الليلة وقد علمت منزلة الصلاة من الدين ومنها انه أضاء فى السماء والارض ومنها التشبيه بسرعة السير ومنها أنه كان ليلا وهو وقت ظهور النجم فهو لا يخفى على ذى بصر وأما أرباب البصائر فلا يمترون كابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه اه وفى ذلك أقوال أخر

أضربنا عنها طلبا للاختصار واظهورهذه وقوتها عليها (وقوله اذا هوى) أى سقط من علو الى سفل فعلى القول بانه القرآن فالمعنى اذا نزل وعلى القول بأنه الثريا أو جميع النجوم فالمراد بالهوى السقوط فى مغاربها من الافق وعلى القول بانه الرجوم فالمراد بالهوى الرمى بها وعلى القول بانه النبى صلى الله عليه وسلم فالمراد بالهوى نزوله ليلة المعراج (فان قيل) ما العامل فى اذا وهل هى شرطية أولا واذا كانت شرطية فأين جوابها (أجيب) بان الظاهر انها ظرفية محضة لا شرطية والعامل فيها فعل القسم المحذوف وتقديره أقسم بالنجم وقت هويه قاله أبو البقاء وغيره وهو مشكل فان فعل القسم انشاء والانشاء حال واذا انما هى لما يستقبل من الزمان فكيف يتلاقيان قال الطيبى نقلا عن المقتبس الوجه ان اذا قد انسلخ عنها معنى الاستقبال وصارت للوقت المجرد ونحوه آتيك اذا احمر البسر أى وقت احمراره فقد عرى عن معنى الاستقبال لانه وقت الغيبة عنه بقوله آتيك واما ان يكون العامل فى اذا نفس النجم الذى أريد به القرآن قاله أبو البقاء وفيه نظر اذا أريد انه اسم لهذا الكتاب المخصوص وقد يقال ان النجم بمعنى المنجم كأنه قيل والقرآن المنجم فى هذا الوقت قال التقى السبكى فى تفسيره ويحتمل ان يؤخذ من فعل القسم معنى التعظيم ويجعل هو العامل فى اذا ويحتمل ان يقال ان اذا شرطية على بابها وجوابها محذوف يدل عليه القسم لكن تقديره خبر لا انشاء وجملة الشرط وجوابه المحذوف معترضة بين قوله والنجم وقوله ما ضل صاحبكم * قال الامام الرازى الفائدة فى تقييد القسم بالنجم بوقت هويه انه اذا كان فى وسط السماء بعيدا

عن الارض لا يهتدى به الساري لانه لا يعلم به المشرق من المغرب ولا الجنوب من الشمال فاذا زال تبين به واهتدى وتميز جانب عن جانب كذلك النبي صلى الله عليه وسلم خفض جناحه للمؤمنين وكان على خلق عظيم وخص الهوى دون الطلوع لعموم الاهتداء به في الدين والدنيا أما الدنيوى فلما ذكروا اما الدينى فكما قال الخليل صلى الله عليه وسلم لا أحب الآفلين وفيه لطيفة وهى ان القسم بالنجم يقتضى تعظيمه وقد كان من المشركين من يعبده فنبه سبحانه على عدم صلاحيته للالوهية باهويه وأفوله (قوله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى) هذا جواب القسم قال الزمخشرى والضلال نقيض الهدى والغى نقيض الرشد أى هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى الضلال والغى وقال الرازى ما ملخصه وتحقيق الفرق بين الضلال والغى ان الضلال أعم استعمالا فى المواضع تقول ضل بعيرى ورحلى ولا تقول غوى فالمراد من الضلال أن لا يجد السالك الى مقصده طريقا أصلا والغواية ان لا يكون له طريق الى مقصد مستقيم فالضال كالكافر والغاوى كالفاسق والمعنى انه على الطريق وان طريقه مستقيمة (قال) ابن القيم نفى الله سبحانه وتعالى عن رسوله الضلال المنافى للهدى والغى المنافى للرشاد ففى ضمن هذا النفى الشهادة له بأنه على الهدى والرشد فالهدى فى علمه والرشد فى عمله وهذان الاصلان هما غاية كمال العبد وبهما سعادته وصلاحه * وقوله صاحبكم يعنى به النبي صلى الله عليه وسلم والخطاب لقريش ولفظة صاحب تضاف تارة الى المصحوب الأدنى كما هنا وتارة الى الاعلى كقولنا صاحب

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمل كيف قال صاحبكم ولم يقل محمدا
تأكيدا لاقامة الحجة عليهم بانه صاحبهم وهم أعلم الخلق به وبحاله
وأقواله وأعماله وانهم لا يعرفونه بكذب ولا غي ولا ضلال
ولا ينقمون عليه أمرا واحدا قط وقد نبه تعالى على ذلك بقوله
أم لم يعرفوا رسولهم وبقوله وما صاحبكم بمجنون (قوله تعالى
وما ينطق عن الهوى) نزلت لما قالت قريش ان محمدا تقول القرآن
من تلقاء نفسه وقوله وما ينطق عن الهوى دليل على انه ما ضل
وما غوى تقديره كيف يضل أو يغوى وهو لا ينطق عن الهوى وانما
يضل من اتبع هواه ويدل عليه قوله تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك
عن سبيل الله وقال تعالى أولا ما ضل وما غوى بصيغة الماضى وقال
هنا وما ينطق بصيغة المضارع وهو ترتيب فى غاية الحسن أى ما ضل
حين اعتزلكم وما تعبدون وما غوى حين اختلى بنفسه وما ينطق
عن الهوى الآن حين أرسل اليكم وجعل شاهدا عليكم فلم يكن
أولا ضالا ولا غاويا وصار الآن منقذا من الضلال ومرشدا وهاديا
ولم يقل وما ينطق بالهوى لان نفى نطقه عن الهوى أبلغ فانه يتضمن
ان نطقه لا يصدر عن هوى واذا لم يصدر عن هوى فكيف ينطق به
فتضمن نفى الامرين نفى الهوى عن مصدر النطق ونفيه عن النطق
فنطقه بالحق ومصدره الهدى والرشاد لا الغى والضلال فعن على
ذلك على بابها وهو أولى من جعلها بمعنى الباء أى وما ينطق بالهوى أى
ما يتكلم بالباطل * والهوى مقصور مصدر هويته من باب تعب وهو
محبة من النفس الامارة وانما سمى الهوى هوى لانه يهوى بصاحبه
قال تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه الآية وقال تعالى ومن

أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله الآية * وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فالمنجيات خشية الله تعالى في السر والعلانية والحكم بالعدل في الرضا والغضب والاقتصاد في الفقر والغنى والمهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء برأيه رواه البزار عن أنس * وقال صلى الله عليه وسلم ما تحت ظل السماء من اله يعبد من دون الله تعالى أعظم عند الله من هوى متبع رواه الطبراني عن أبي امامة * قيل كان على خاتم بعض الحكماء من غلب هواه على عقله افتضح وقال ابن دريد في مقصورته

وآفة العقل الهوى فمن علا * على هواه عقله فقد نجا

(قوله تعالى ان هو الا وحي يوحى) قال الامام الرازي هذا تكملة للبيان وذلك أنه تعالى لما قال وما ينطق عن الهوى كأن قائلا يقول فماذا ينطق أعن الدليل والاجتهاد فقال لا انما ينطق عن حضرته بالوحي وهذا اللفظ أبلغ من أن لو قيل هو وحي يوحى وفيه فائدة غير المبالغة وهو أنهم كانوا يقولون هو قول كاهن هو قول شاعر فالمراد نفي قولهم وذلك يحصل بصيغة النفي فقال ما هو كما يقولون وزاد بل هو وحي يوحى وكلمة ان استعملت مكان ما للنفي كما استعملت ما للشرطية مكان ان وهو ضمير يعود على المصدر المفهوم من الفعل وهو ينطق أي ما نطقه الا وحي يوحى وهذا أحسن من قول من جعل الضمير عائدا الى القرآن كالكلبي ومقاتل وادعى عليه ابن عطية الاجماع فان عوده الى القرآن عود على غير مذكور ولم يشمل جميع نطق النبي صلى الله عليه وسلم وعوده الى النطق المذكور يعم نطقه بالقرآن والسنة وان كلاهما وحي وعلى

عوده الى النطق هو بمعنى المنطوق به لان النطق لا يوحى وانما يوحى المنطوق به واختار التقى السبكى ان يكون الذى يعود عليه الضمير ماعنه النطق وفهم ذلك من قوله عن الهوى كانه قال وما ينطق عن الهوى ما ينطق الاعن الوحى وسياق الكلام يرشد الى هذا المعنى وقوله يوحى صفة لوحى وفائدة المجئ بهذا الوصف انه ينفى المجاز أى هو وحى حقيقة لا لمجرد تسمية كقولك هذا قول يقال وقيل تقديره يوحى اليه ففيه مزيد فائدة * واستدل على ان جميع نطقه صلى الله عليه وسلم بالقرآن والسنة وحى بقوله تعالى وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وهما القرآن والسنة ولكن القرآن وحى يتلى والسنة وحى لا يتلى * وبماروى الدارمى عن يحيى بن أبى كثير قال كان جبريل ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن ومثله يروى عن حسان بن عطية * وبماروى أبوداود وغيره من حديث المقدام بن معد يكرب عن النبى صلى الله عليه وسلم الا انى أوتيت القرآن ومثله معه وفى الصحيحين ان رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة كيف ترى فى رجل أحرم بعمرة فى جبة بعد ماتضمخ بالخلوق فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم سكت فجاءه الوحى ثم سرى عنه فقال أين السائل آنفا فجئ به فقال انزع عنك الجبة واغسل أثر الطيب واصنع فى عمرتك ماتصنع فى حجتك * وروى الامام أحمد وغيره عن عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنهما قال كنت أكتب كل شئ أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد أحفظه فنهتنى قريش فقالوا انك تكتب كل شئ تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر

يتكلم فى الغضب والرضا فامسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اكتب فوالذى نفسى بيده ماخرج منى الاحق * وروى الامام احمد وغيره عن أبى امامة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليدخلن الجنة بشفاعة رجل مثل الحيين أومثل احد الحيين ربيعة ومضر فقال رجل يارسول الله ومار بيعة ومضر قال انما اقول ماأقول فقوله أقول الثانى بضم الهمزة وفتح القاف والواو المشددة أى مايقوله الله تعالى من الوحى * وقد احتج بهذه الآية من لم ير الاجتهاد للنبى صلى الله عليه وسلم واجيب عنه بانه اذا اوحى اليه بأن يجتهد كان اجتهاده ومايستند اليه وحيا قال البيضاوى وفيه نظر لان ذلك بالوحى لاالوحى أى يكون مايستند الى الاجتهاد بسبب الوحى لانفس الوحى قال صاحب الكشف هذا غير قادح لانه بمنزلة ان يقول الله تبارك وتعالى لنبيه متى ظننت كذا فهو حكمى وردبأن الوحى هو الكلام الخفى الذى يدرك بسرعة ولا يندرج الحكم الاجتهادى بماذكره تحته ولعل الاولى ان يندرج مايثبت بالوحى فيه بعموم المجاز وفيه نظر فان وصف الوحى بقوله يوحى لرفع احتمال المجاز وأيضا فيأباه قوله علمه شديد القوى لان مايستند الى الاجتهاد ليس من تعليمه فليتأمل * وقد منع الاجتهاد له صلى الله عليه وسلم طائفة وجوزه قوم فى الحروب والآراء دون الاحكام وتوقف فيه كثيرون والصحيح جوازه ووقوعه وهو قول الشافعى رضى الله عنه وأبى يوسف وقد يتمسك المانع من ذلك بقوله تعالى وأن احكم بينهم بما أنزل الله ويتمسك المجيز بقوله لتحكم بين الناس بما أراك الله وهو

محتمل لان يراد به انه اراه بالوحى ومن ادلة الوقوع قوله تعالى ما كان لنبى ان تكون له اسرى حتى يثخن فى الارض عفا الله عنك لم أذنت لهم عوتب على استبقاء اسرى بدر بالفداء وعلى الاذن لمن ظهر نفاقهم فى التخلف فى غزوة تبوك ولا يكون العتاب فيما صدر عن وحى فيكون عن اجتهاد وقال التقى السبكى فى تفسيره ومن أقوى ادلة القائلين بالوقوع يعنى فى غير الحرب قول النبى صلى الله عليه وسلم الا الاذخر عقب ما قيل له الا الاذخر ونحو ذلك وليس قاطعا لاحتمال ان يكون اوحى اليه فى تلك اللحظة (قوله تعالى علمه شديد القوى) اخبر سبحانه وتعالى عن وصف من علمه الوحى بما يعلم انه مضاد لاوصاف الشيطان معلم الضلالة والغواية وعلمه صفة للوحى أى علمه اياه فالهاء عائدة الى صاحبكم وهو النبى صلى الله عليه وسلم وهو الظاهر ويكون المفعول الثانى محذوفا أى علم شديد القوى صاحبكم أى النبى صلى الله عليه وسلم الوحى أى الموحى به ويجوز أن يكون للوحى فيكون المفعول الاول محذوفا أى علم الوحى شديد القوى صاحبكم النبى صلى الله عليه وسلم وشديد القوى هو جبريل أى قواه العلمية والعملية كلها شديدة وفى ذلك مدح للمعلم وهو مدح للمتعلم فلو قال علمه جبريل ما كان يحصل للنبى صلى الله عليه وسلم فضيلة ظاهرة وفيه رد عليهم حيث قالوا أساطير الاولين لم يعلمه أحد فقيل بل علمه شديد القوى وفيه الوثوق بقول جبريل عليه الصلاة والسلام لوصفه بذلك وهو شديد القوى وهى تشمل العملية والعلمية وذلك مما يزيد المعلم وثوقا وقوة وشديد القوى من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها أى ملك شديد

قواه والاضافة غير حقيقية لانها اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها وهو جبريل على قول ابن عباس وأكثر المفسرين وقال الحسن هو الله تعالى والشديد هو البين الشدة والقوى جمع قوة (وقد روى) ابن عساكر عن معاوية بن قرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ما أحسن ما أثنى عليك ربك ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين ما كانت قوتك وما كانت أمانتك قال أما قوتى فانى بعثت الى مدائن قوم لوط وهى أربع مدائن وفى كل مدينة أربعمائة ألف مقاتل سوى الذرارى فحملتهم من الارض السفلى حتى سمع أهل السماء أصوات الدجاج ونباح الكلاب ثم هويت بهن فقلبتهن وأما أمانتى فلم أومر بشئ فعدوته الى غيره * وقال محمد ابن السائب من قوة جبريل انه اقتلع مدائن قوم لوط من الماء الاسود فحملها على جناحه حتى رفعها الى السماء حتى أسمع أهل السماء نباح كلابهم وصياح ديكتهم ثم قلبها ومن قوته أيضا انه أبصر ابليس يكلم عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام على بعض عقاب الارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة ألقاه بأقصى جبل بالهند ومن قوته أيضا صيحته بثمود فى عددهم وكثرتهم فاصبحوا جاثمين خامدين ومن قوته هبوطه من السماء على الانبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين وصعوده اليها فى اسرع من طرفة عين (قوله تعالى ذو مرة) أى ذو قوة كما رواه الفريابى عن مجاهد ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى رواه احمد وغيره (وقيل) ذو جزالة فى الرأى وكمال فى العقل وقال ابن عباس ذو منظر حسن رواه ابن جرير وقيل غير ذلك

ولا

ولا تنافى بين الاقوال لانه متصف بها صلى الله عليه وسلم (قال) الفراء
وأصل المرة الفتل تقول فتل الحبل مر أى محكم شديد الفتل وقد
أمررته أى ادرت فى الفتل بعضه الى بعض (فان قيل) على القول
بتفسير المرة بالقول قد تقدم كونه شديد القوى فكيف تكون قواه
شديدة وله قوة (اجيب) بأن افراد مرة بالذكر ربما يكون لبيان ان
قواه المشهورة شديدة وله قوة أخرى خصه الله تعالى بها على أنا نقول
المراد ذو شدة وهى غير القوة والتقدير علمه من قواه شديدة وفى
ذاته أيضا شدة فان الانسان ربما يكون كبير القوة صغير الجثة
أو يقال انه أراد بقوله تعالى شديد القوى أى قوة العلم و بقوله ذو مرة
أى شدة فى الجسم فقدم العلمية على الجسمية كما قال تعالى وزاده
بسطة فى العلم والجسم (قوله تعالى فاستوى وهو بالافق الاعلى)
الفاء سببية فان التشكل له بشكله الذى فطر عليه تسبب عن شدة
قوته وقدرته على الخوارق أو عاطفة على علمه أى علمه على غير صورته
الاصلية ثم استوى على صورته الاصلية وهذا بناء على ان الضميرين
لجبريل وهو قول الجمهور يعنى استقام جبريل على صورته
الحقيقية أو ظهر فى صورته التى خلقه الله تعالى عليها لانه كان يأتى
النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة الآدميين كما كان يأتى الانبياء
فسأله النبى صلى الله عليه وسلم ان يريه نفسه فى الصورة التى خلقه
الله تعالى عليها فاراه نفسه مرتين مرة فى الارض ومرة فى السماء
فاما فى الارض ففى الافق الاعلى وكان النبى صلى الله عليه وسلم
بجبل حرا فطلع له جبريل من المشرق فسد الافق الى المغرب فخر
النبى صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل اليه فى صورة

الآدميين وضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه فلما أفاق
النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل ما ظننت ان الله تعالى خلق
أحدا على مثل هذه الصورة فقال يا محمد انما نشرت جناحين من
أجنحتي وان لي ستمائة جناح سعة كل جناح يسد ما بين المشرق
والمغرب فقال ان هذا العظيم فقال وما أنا في جنب ما خلق الله
تعالى الا يسير ولقد خلق الله تعالى اسرافيل له ستمائة جناح كل
جناح قدر جميع أجنحتي وانه ليتضاءل بالضاد المعجمة والهمزة
أحيانا من مخافة الله تعالى حتى يكون قدر الوصع بفتح الواو
والصاد والعين المهملة يعني العصفور الصغير ويدل على ذلك أيضا
قوله تعالى ولقد رآه بالافق المبين وهذه الرؤية لجبريل لم تكن ليلة
الاسراء بل قبلها ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الارض أوائل
البعثة بعد فترة الوحي كما قاله ابن كثير * وأما في السماء فعند سدرة
المنتهى ليلة الاسراء كما سيأتي في قوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى عند
سدرة المنتهى ولم ير جبريل عليه الصلاة والسلام أحد من الانبياء
على تلك الصورة الا نبينا صلى الله عليه وسلم تينك المرتين (وقيل)
استوى بمعنى استولى بقوته على ما جعل له من الامر وهو مبتدأ عائد
لجبريل كما تقدم وبالافق خبره والجملة حال من فاعل استوى او انها
جملة مستأنفة أخبر الله تعالى بذلك والافق بضمتين أو بضمة فسكون
مثل عسر وعسر الناحية من الارض ومن السماء والجمع آفاق
والمراد به مطلع الشمس كما قاله مجاهد ووصف الافق بالاعلى قال
الواحدي ليس المراد به الاعلى في السماء وانما المراد جانب المشرق
وهو فوق جانب المغرب فهو أعلى منه في صعيد الارض لا في الهواء

(وقيل) ان الضميرين فى استوى وفى هو لله تعالى وهو قول الحسن على معنى العظمة والقدرة والسلطان (قوله تعالى ثم دنا فتدلى) الدنو هو القرب اما حسا واما معنى والتدلى هو الامتداد من علو الى سفل هذا أصله ثم استعمل فى القرب من العلو ويكون أيضا حسا أو معنى فالقرب المستفاد من التدلى أخص من القرب المستفاد من الدنو وبهذا يحسن عطفه عليه وتقديم الدنو تقديما للاعم على الاخص وهذا أولى من قول من قال ان هذا من التقديم والتأخير وان المعنى ثم تدلى من الافق فدنا لان الاصل عدم ذلك وأولى من قول من قال ان معنى دنا فتدلى واحد لان التأسيس أولى من التأكيد (وقيل) ان دنا بمعنى قصد القرب من النبى صلى الله عليه وسلم وتحرك عن المكان الذى كان فيه فتدلى فنزل الى النبى صلى الله عليه وسلم (وقيل) فتدلى أى فتدلل من الدلال فتكون ألفه مبدلة من لام قال الجوهرى قوله تعالى ثم دنا فتدلى أى تدلل كقوله تعالى ثم ذهب الى أهله يتمطى أى يتمطط والضمير المسند اليه دنا فتدلى عائد الى جبريل كما قاله الجمهور أى دنا جبريل من النبى صلى الله عليه وسلم بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض فتدلى على النبى صلى الله عليه وسلم والمعنى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما رأى من عظمة جبريل ما رأى وهاله ذلك رده الله تعالى الى الصورة التى كان يعتاد النزول عليها وقرب من النبى صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون الضمير عائد الى الرب أى دنا الرب سبحانه وتعالى من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى وهذا على سبيل المجاز لان دنو الله من العبد ودنو العبد من الله تعالى بالرتبة والمكانة والمنزلة واجابة

الدعوة واعطاء الامنية لا بالمكان والمسافة والنقلة وهذا القول يحكى عن ابن عباس وأنس ولم يقل أحد ان المراد الدنو من الله حسا كما قد يتوهمه من يقول بالجهة بل بما ذكرناه من تعظيم المنزلة وتشريف الرتبة واشراق أنوار المعرفة ومشاهدة أسرار الغيب والقدرة وبسط الانس والاكرام * قال ابن عطية والصحيح عندي ان جميع ما في هذه الآيات هو مع جبريل بدليل قوله ولقد رآه نزلة أخرى فان ذلك يقتضي نزلة متقدمة وما روى ط أن محمدا رأى ربه قبل ليلة الاسراء اهـ قال الامام التقي السبكي ليس في قوله نزلة أخرى صراحة بأنها قبل ليلة الاسراء فقد يكون رآه فيها مرتين (قوله تعالى فكان قاب قوسين أو أدنى) القاب يطلق على ما بين المقبض والسية من القوس والسية هي الفرضة التي يوضع فيها الوتر ولكل قوس قابان (وقيل) القاب حيث الوتر من القوس قاله مجاهد ويطلق القاب أيضا في اللغة على القدر والقوس هي التي يرمى بها (وقيل) المراد بها الذراع لانه يقاس به الشئ قال بعضهم وليس المراد في الآية القاب وانما المراد القدر والقوس الذراع ورجح هذا القول بما أخرجه ابن مردويه باسناد صحيح عن ابن عباس قال القاب القدر والقوسان الذراعان ويؤيده انه لو كان المراد به القوس التي يرمى بها لم يمثل بذلك ليحتاج الى التثنية فكان يقال قاب رمح أو نحو ذلك وقد قيل ان المراد القوس ولكنه جاء في الآية على القلب والمراد فكان قابي قوس فقلبه لان لكل قوس قابين بناء على انه ما بين القبضة الى السية وعلى كل ففي الآية مضافات محذوفات يضطر لتقديرها أي فكان مقدار مسافة قربه

منه

منه مثل مقدار مسافة قاب قوسين (فان قلت) من هو المحدث عنه
فى الآية الذى شبه قربه بقاب قوسين (قلت) هو جبريل كما نقله
القاضى عن الجمهور وقال الحافظ عماد الدين بن كثير انه هو الصحيح
فى التفسير كما دل عليه كلام أكابر الصحابة رضى الله تعالى عنهم
* وقد روى الشعبى عن مسروق رضى الله تعالى عنه قال قلت
لعائشة رضى الله تعالى عنها ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى
قالت ذاك جبريل قال ابن القيم لان جبريل هو الموصوف بما
ذكر من أول السورة الى قوله ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى
هكذا فسر النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح لعائشة
قالت عائشة رضى الله تعالى عنها سألت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن هذه الآية فقال ذاك جبريل لم أره فى صورته التى خلقه
الله عليها الا مرتين رواه مسلم ولفظ القرآن لا يدل على غير ذلك
ثم ساق وجوها سبعة دالة على ذلك وأما ما وقع فى البخارى من
رواية شريك عن أنس قال ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان
منه قاب قوسين أو أدنى فقد تكلم الناس فيه وقالوا ان شريكا خلط
فيه وذكر أمورا منكرة لكن قال ابن القيم ان الدنو والتدلى الذى
فى حديث شريك غير هذا وجزم ابن كثير بان الدنو والتدلى فى حديث
شريك غير الذى فى الآية وقال الامام الرازى فى تفسيره فكان قاب
قوسين أى فكان بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين
أو أقل وهذا على استعمال العرب وعادتهم فان الاميرين منهم
أو الكبيرين اذا اصطلحا وتعاقدا خرجا بقوسيهما فجعل كل واحد
منهما قوسه بطرف قوس صاحبه ومن دونهما من الرعية يكون

كفه بكف صاحبه فيمدان باعيهما لذلك فسمى صابعة وقوله أو أدنى
قال ابن القيم أو هنا ليست للشك بل لتحقيق قدر المسافة وانها لا تزيد
على قوسين البتة كما قال تعالى وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون
تحقيقا لهذا العدد وانهم لا ينقصون عن مائة ألف رجلا واحدا
ونظيره قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد
قسوة أي لا تنقص قسوتها عن قسوة الحجارة بل ان لم تزد على قسوة
الحجارة لم تكن دونها وهذا المعنى أحسن وألطف وادق من قول
من جعل أو في هذا الموضع بمعنى بل ومن قول من جعلها للشك
بالنسبة الى الرائي ومن قول من جعلها بمعنى الواو فتأمله * وأدنى
أفعل تفضيل والمفضل عليه محذوف اى أدنى من قاب قوسين أي
أقرب والمعنى فيما تقدرون أنتم والله تعالى عالم بالاشياء على ما هي
عليه لا تردد عنده ولكنه خاطبنا على ما جرت عادة المخاطبة فيما بيننا
اذا قدرنا الشيء نقول هذا قدر رمحين أو أنقص (فان قلت) اذا
كان القرب المذكور بين جبريل وبين النبي صلى الله عليه وسلم
كما ذهب اليه الجمهور فاى فائدة في ذلك وقد علمنا ان جبريل كان
يأتي النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض المرات قد أسند ركبتيه الى
ركبتيه وهو أقرب من قدر قوسين أو قوس واحد دوان أريد قرب
المكانة منه فمذهب أهل السنة ان النبي صلى الله عليه وسلم أفضل
من جبريل فكيف يذكر في سياق تشريفه ذكر مكانته منه (قلت)
قالوا ان جبريل مع عظمة اجزائه وكثرتها حتى سد الافق بجناحه
دنا من النبي صلى الله عليه وسلم في غير تلك الصورة حتى قرب منه
بعد ما رآه على الصورة الاولى وفي ذلك بيان قدرة الله تعالى ومعنى

الآية ذلك والله تعالى أعلم بمراده وأما اذا كان القرب فيما بين النبى صلى الله عليه وسلم و بين الله تعالى كما ذكر فى حل الآية على المكانة ففيه فائدة عظيمة و بيان لشرف النبى صلى الله عليه وسلم واختصاصه وقد سئل أبو العباس بن عطاء عن هذه الآية فقال كيف اصف لكم مقاما انقطع عنه جبريل وميكائيل واسرافيل ولم يكن الا محمد وربه عز وجل (قوله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى) الضمير فى أوحى الاول لجبريل على نسق ما تقدم وفى عبده لله والمراد به محمد صلى الله عليه وسلم وفيه اضمار قبل الذكر لانه لم يتقدم ذكر الله تعالى لكنه معلوم كقوله تعالى ما ترك على ظهرها أى الارض من دابة فانه لم يجر ذكر الارض لكنه معلوم والضمير فى أوحى الثانى يجوز ان يكون لجبريل كما هو الموافق للنسق أى أوحى جبريل لعبد الله محمد ما أوحى جبريل ففيه تفخيم وتعظيم للموحى ويجوز ان يكون لله أى أوحى جبريل لعبد الله ما أوحى الله تعالى اليه ويجوز ان يكون الضمير فى أوحى الاول لله والمراد بعبده هو محمد صلى الله عليه وسلم أى أوحى الله تعالى الى عبده محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون المراد بعبده جبريل عليه السلام أى أوحى الله تعالى الى عبده جبريل والضمير فى أوحى الثانى يجوز ان يكون لله أى أوحى الله تعالى الى عبده محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى الله تعالى اليه ففيه تفخيم وتعظيم أيضا للموحى ويجوز ان يكون لجبريل أى أوحى الله تعالى لعبده محمد ما أوحى جبريل اليه فيكون ايحاء الله اليه بواسطة جبريل وعلى ان المراد بعبده جبريل والضمير فى أوحى الثانى لله تعالى فالمعنى أوحى الله تعالى لعبده جبريل ما أوحى الله

تعالى اليه ففيه تفخيم أيضا وعلى ان المراد بعبده جبريل والضمير في أوحى الثاني له فالمعنى فأوحى الله تعالى لعبده جبريل ما أوحى جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم أو ما أوحى جبريل الى كل رسول لانه أمين الله تعالى على وحيه * وما في ما أوحى يحتمل ان تكون مصدرية أعني المراد بها المصدر فيكون المعنى تفخيم الوحي الذي أوحاه ويحتمل أن تكون موصولة أي الذي اوحاه الله تعالى اليه من الاحكام وغيرها وقد اختلف في المراد بما أوحى على وجوه فقيل الصلاة وقيل ان احدا من الانبياء لا يدخل الجنة قبلك ولا تدخل امة قبل امتك وقيل ان ما للعموم والمراد كل ما جاء به جبريل وسئل أبو الحسن النوري عنه فقال أوحى اليه سرا بسر من سر في سر وفي ذلك يقول القائل

بين المحبين سر ليس يفشيه * قول ولا قلم للخلق يحكيه
سر يمازجه أنس يقابله * نور تحير في بحر من التيه

(قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى) أخبر الله تعالى عن تصديق فؤاده لما رأته عيناه بهذه الآية وقرأ الجمهور بتخفيف الذال من كذب وهو متعد وما رأى مفعوله وما موصولة والعائد محذوف أي الذي رآه وفاعل رأى ضمير يعود على النبي صلى الله عليه وسلم والفؤاد هو القلب والمراد فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى ما كذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه محمد صلى الله عليه وسلم بعينه وان القلب صدق العين وليس كمن رأى شيأ على خلاف ما هو به فكذب فؤاده بصره * وقرأ هشام وأبو جعفر بتشديد الذال من كذب أي ما كذب الفؤاد ما رآه البصر ولم يقل انما رآه

البصر خيال لا حقيقة له بل صدقه على ما رآه وهذا بناء على ان
الرائى البصر وأما على القول بأن الرائى الفؤاد فالمعنى ما كذب
الفؤاد ما رآه الفؤاد أى لم يقل انه جنى أو شيطان بل تيقن أن ما رآه
بفؤاده صدق صحيح وال فى الفؤاد قال الرازى لتعريف ما علم حاله
لسبق ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فى قوله ما ضل صاحبكم وفى قوله
فأوحى الى عبده وغير ذلك (وقيل) أل للجنس أى جنس الفؤاد
و يكون المعنى ما كذب الفؤاد ما رأى محمد صلى الله عليه وسلم أى
القلوب تشهد بصحة ما رآه محمد صلى الله عليه وسلم (واختلفوا)
فى المرئى ما هو فقيل جبريل رآه وله ستمائة جناح كما ثبت عن ابن
مسعود فى الصحيح فى تفسير هذه الآية وفى رواية عنه رأى جبريل
عليه حلتان على رفرف أخضر قد ملأ ما بين السماء والارض كما
رواه الفريابى والترمذى وصححاه وقيل المرئى الآيات العجيبة
وقيل المرئى هو الله سبحانه وتعالى وهو قول ابن عباس وأنس
وأبى امامة وغيرهم من الصحابة والتابعين ثم منهم من يقول رآه
بعينه وهو المشهور عن ابن عباس ومنهم من يقول رآه بقلبه وهو
مروى عن ابن عباس أيضا وعن غيره وسيأتى الكلام على رؤية
الله تعالى وما قيل فيها فى الوجه التاسع والعشرين من فوائد
القصة (قوله تعالى أفتمارونه على ما يرى) أنكر تعالى عليهم مكابرتهم
وجحدهم له على ما يراه كما ينكر على الجاهل مكابرته لعالم ومماراته
على ما علمه فقال مبتدئا بهمزة الاستفهام الانكارى أفتمارونه
أى أفتجادلونه من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مريت
الناقة مريا اذا مسحت ضرعها لتدر وعبر بالمفاعلة فى هذه القراءة

اشارة الى اجتهادهم فى تشكيكه لان كلا من المتجادلين يمرى ما عند
صاحبه أى يستخرجه من مرى الشئ استخرجه ومريت الفرس
اذا استخرجت ما عنده من الجرى بسوط أو غيره وكان من حقه
أن يتعدى بفى كقولهم جادلته فى كذا وانما ضمن معنى الغلبة فعدى
تعديتها بعلى * وقرأ حمزة والكسائى وخلف ويعقوب أفتمرونه
بفتح التاء وسكون الميم من غير ألف بعدها أى أفتجحدونه من
مراه حقه اذا جحده واختار هذه القراءة أبو عبيدة لأن المشركين
كان شأنهم الجحد وهو أكثر من المماراة واختار غيره القراءة الاولى
لان الجحود كان منهم فى هذا وفى غيره والذى اختص به الاسراء
المجادلة لانهم قالوا صف لنا بيت المقدس وأخبرنا عن عيرنا التى
فى الطريق وغير ذلك مما جادلوه به وأيضا فقد يجحد الشئ من
لايجادل فيه ووضع الجدال أن لا يكون من جاحد وان اتفق
من غير جاحد فهو متصور بصورة الجاحد فكان الجدال أخص
من الجحود وقال الزمخشرى وتبعه البيضاوى معنى أفتمارونه
أفتغلبونه فى المراء من ماريته فمريته قال السبكى وهو معنى جيد
و ورود مريت بمعنى جحدت فى كلام العرب لايدفع هذا الثبوت
المعنيين لغة والتعدية بعلى على معنى الغلبة واضحة وأما على معنى
الجحد فلتضمنه معنى الغلبة فان المارى والجاحد يقصدان بفعلهما
غلبة الخصم * وقال على ما يرى بصيغة المضارع والرؤية قد مضت
فاما أن يكون وضع المضارع موضع الماضى كقوله تعالى
واتبعوا ما تتلوا الشياطين فى أحد تأويليه ومذهب سيبويه جواز
وضع المضارع موضع الماضى واما للاشارة الى انه ما نسى كما انه

لم

لم يتهم ولم يلتبس الامر عليه فالرؤية وان مضت فهي عتيدة عنده لتحققه بها وتيقنه اياها فكانه الآن ينظر والمماراة في الشئ الحاضر المعاين أفحش وأشد جهلا (قوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى) أخبر الله تعالى عن رؤيته لجبريل مرة بعد أخرى فالمرة الاولى كانت دون السماء بالافق الاعلى والثانية هذه كانت فوق السماء عند سدرة المنتهى قال الحافظ ابن كثير هذه هي المرة الثانية التي رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها جبريل على صورته التي خلقه الله تعالى عليها وكانت ليلة الاسراء وقد روى الامام أحمد بسند جيد كما قال الحافظ المذكور عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل على سدرة المنتهى له ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الافق تسقط من أجنحته التهاويل من الدر والياقوت ما الله به عليم وأصل الحديث رواه مسلم انتهى وأما المرة الاولى فكانت في حراء أوائل البعثة كما تقدم والواو في ولقد عاطفة وجوز بعضهم أن تكون للحال ورد بان اللام تنافي ذلك لانها جواب القسم والقسم لا يكون حالا لان الحال خبر والقسم انشاء والضمير المرفوع المستتر في رآه للنبي صلى الله عليه وسلم واما البارز المنصوب ففيه خلاف حسبما تقدم فقال ابن مسعود وعائشة ومجاهد هو عائد على جبريل وقال ابن عباس وكعب الاحبار هو عائد على الله تعالى وقوله تعالى نزلة أخرى أي مرة أخرى فعلة من النزول أقيمت مقام المرة ونصبت نصبها على الظرف اشعارا بان الرؤية في هذه المرة كانت أيضا بنزول ودنو وحيث كان الضمير عائدا على الله تعالى فالكلام

فى الدنو ماسبق من انه على سبيل المجاز والمراد القرب المعنوى من
الله تعالى مع تنزيهه تعالى عن الجهات ولا يمتنع مع ذلك ان تتكرر
رؤيته له فى تلك الليلة * وقيل ان نزلة منصوبة نصب المصدر الواقع
موقع الحال والتقدير ولقد رآه نازلا نزلة أخرى والى هذا ذهب
الحوفى وابن عطية والاول اقتصر عليه الزمخشرى وصدر به القاضى
وحكى الثانى بقيل * وقال الشهاب الحلبى المعروف بالسمين وهذا
يعنى الاول ليس مذهب البصريين وانما هو مذهب الفراء ونقله عنه
مكى وقيل ان نزلة منصوب على المصدر المؤكد وقدره أبو البقاء
مرة أخرى أو رؤية أخرى قال الشهاب الحلبى المذكور وفى تأويل
نزلة برؤية نظر وقوله أخرى يدل على سبق رؤية قبلها وقد تقدم
مايدل على ذلك والمراد بالاتيان فى هذه الآية وهى ولقد رآه الخ
بالفعل المصدر باللام القسمية وكلمة قد المفيدة للتحقيق نفى الريبة
عن المرة الاخيرة (قوله تعالى عند سدرة المنتهى) عند ظرف
مكان لرآه وظرف الفعل قد يكون فيه الفاعل أو المفعول أو كلاهما
ولا اشكال ان فيه ههنا النبى صلى الله عليه وسلم وعند من يقول
المرئى هو جبريل يصح أن يكون ظرفا له أولهما معا * والسدرة
شجرة النبق رآها النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء ورأى عندها
جبريل فى صورته الاصلية وهى فى السماء السابعة كما فى حديث
أنس رضى الله تعالى عنه ووقع فى حديث ابن مسعود انها
فى السادسة وحديث أنس هو قول الاكثر وهو الذى يقتضيه وصفها
بكونها التى ينتهى اليها علم كل نبى مرسل وكل ملك مقرب وما
خلفها غيب لا يعلمه الا الله تعالى أو من أعلمه ويترجح حديث أنس

بأنه مرفوع وحديث ابن مسعود بأنه موقوف وقد جمع بينهما
بأن أصلها في السادسة وأغصانها وفروعها في السابعة وليس في
السادسة منها الا الأصل ساقها قال مقاتل وهي عن يمين العرش
قال الخليل قد أظلت السموات والجنة قال بعضهم وهي طوبى
التي ذكرها الله تعالى في سورة الرعد وهي شجرة يسير الراكب في
ظلها مائة عام وفي الكشاف وهي رواية القصة سبعين عاما لا يقطعها
ويستظل في الغصن منها مائة ألف راكب ولو وضعت ورقة
منها في الارض لاضاءت لاهل الارض وورقها كآذان الفيلة ونبقها
كقلال هجر يخرج من أصلها أربعة انهار نهران ظاهران النيل
والفرات ونهران باطنان في الجنة فيها فراش من ذهب وانما قيل لها
سدرة المنتهى لان علم الملائكة ينتهي عندها لا يجاوزها ولم
يجاوزها أحد الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لانه ينتهي
اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله تعالى لا يعدوها
وقيل ينتهي اليها علم الخلائق وعلم كل عالم لا يعلم ما وراءها احدا
الا الله تعالى وقيل لانه ينتهي اليها من مات على سنة محمد صلى الله
عليه وسلم وهم المؤمنون حقا وقيل غير ذلك * والمنتهى اسم مكان
بمعنى موضع الانتهاء أو مصدر ميمي بمعنى الانتهاء كأنها في منتهى
الجنة وآخرها * واضافة السدرة الى المنتهى اما من اضافة الشئ
الى مكانه كقولك أشجار بلدة كذا فالمنتهى حينئذ موضع
لا يتعداه ملك ولا روح من الارواح أو من اضافة المحل الى الحال
فيه كقولك كتاب الفقه وعلى هذا فالتقدير سدرة عندها أو فيها
منتهى العلوم أو المراد بالمنتهى هو الله تعالى وحينئذ يكون

التقدير المنتهى اليه قال الله تعالى وأن الى ربك المنتهى فاضافة السدرة الى المنتهى من اضافة الملك الى مالكه فالاضافة اليه كاضافة البيت اليه للتشريف والتعظيم وسيأتى فى الوجه الخامس والعشرين من فوائد القصة الكلام على السدرة أيضا وعلى ما يتعلق بها (قوله تعالى عندها جنة المأوى) أى عند سدرة المنتهى جنة المأوى وهذه الجملة تحتمل الحال والاستئناف والحال أظهر كما قاله السبكى وهو تعريف لموضع جنة المأوى وانها عندها سدرة المنتهى وهى عن يمين العرش كما تقدم * وقال ابن عباس وأكثر المفسرين جنة المأوى التى تأوى اليها أرواح الشهداء وقيل أوى اليها آدم عليه السلام الى أن أخرج منها وقيل ان جبريل وميكائيل عليهما السلام يأويان اليها وقيل ان أرواح المؤمنين كلهم فى جنة المأوى وهى تحت العرش ينعمون بنعيمها وقالت عائشة وزر بن حبيش جنة من الجنان ومال اليه ابن عطية والجنات كلها يأوى اليها المتقون أراد الله تعالى ان يعظم مكان سدرة المنتهى بأن جعل الجنة عندها وفى ذلك تعظيم لمكانها وتشريف له وقرأ على بن أبى طالب وأبو الدرداء وجماعة من الصحابة والتابعين جنه المأوى بالهاء فى جنه فعلا ماضيا والهاء ضمير المفعول يعود للنبى صلى الله عليه وسلم والمأوى فاعل أى ضمه وستره ايواء الله تعالى وجميل صنعه وقد انكرت عائشة رضى الله تعالى عنها وجماعة معها هذه القراءة وقالوا أجن الله تعالى من قرأها واذا ثبت قراءة هؤلاء فلا سبيل الى ردها ولكن المستعمل انما هو أجنه رباعيا فان استعمل ثلاثيا تعدى بعلى كقوله تعالى فلما جن عليه الليل وقال أبو البقاء هو شاذ

والمستعمل اجنه (قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى) قال ابن القيم لما ذكر الله سبحانه وتعالى رؤية محمد لجبريل صلى الله عليهما وسلم عند سدرة المنتهى استطرد منها وذكر ان جنة المأوى عندها وانها يغشاها من امره وخلقه ما يغشى وهذا من احسن الاستطراد وهو اسلوب لطيف جدا فى القرآن * واذ ظرف زمان لرآه نزلة أخرى ويغشى السدرة أى يسترها ومنه الغواشى أو من معنى الاتيان يقال فلان يغشانى كل وقت أى يأتينى بما يغشى وفى التعبير بما تعظيم وتكثير لما يغشاها وقد علم بهذه العبارة أن ما يغشاها من الدال على عظمة الله وجلاله ما لا يكتنهه النعت ولا يحيط به الوصف وقد جاء بيانه فى صحيح مسلم وغيره كما رواه ابن مسعود وابن عباس مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم قال رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا يسبح الله تعالى وقيل ملائكة يغشونها كأنهم طيور يرتقون اليها متشوقين متبركين بها زائرين كما يزور الناس الكعبة * وأخرج عبد بن حميد عن سلمة بن وهران قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال استأذنت الملائكة الرب تبارك وتعالى ان ينظروا الى النبى صلى الله عليه وسلم فاذن لهم فغشيت الملائكة السدرة لينظروا الى النبى صلى الله عليه وسلم وروى مرفوعا غشيها من نور الله عز وجل حتى ما يستطيع احد ينظر اليها وقيل لما غشيها ما غشيها تحولت ياقوتا وزمردا * وفى الحديث مرفوعا يغشاها الوان لا أدرى ما هى وقيل غير ذلك ولا يقال ان هذا تكلف لان الله تعالى أبهم ما غشيها لان ما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم لا كلام فيه وما ثبت عن الصحابة يكون توقيفيا لان

مثله لا يقال بالرأى وانما اختيرت السدرة لهذا الامر دون سائر
الاشجار لانها تختص بثلاثة أوصاف ظل مديد وطعم لذيذ ورائحة
ذكية فشابهت الايمان الذى جمع قولا وعملا ونية فظلها كالعمل
وطعمها كالنية ورائحتها كالقول وأما ما جاء من الاحاديث
فى النهى عن قطع السدر من قوله صلى الله عليه وسلم الذى رواه
أبو داود وغيره من قطع سدرة صوب الله رأسه فى النار فمحمول على
سدر الحرم كما زاده الطبرانى فى روايته فى قوله يعنى من سدر الحرم
أو على من قطعه من فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثا وظلما
بغير حق يكون له فيه على ما قاله ابو داود * وقد روى البيهقى
أن ابا ثور سأل الشافعى رضى الله عنه عن قطع السدر فقال لا بأس به
وقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اغسلها بماء وسدر وقد
احتج المزنى بما احتج به الشافعى من اجازة النبى صلى الله عليه وسلم أن
يغسل الميت بالسدر ولو كان حراما لم يجز الانتفاع به والورق
من السدر كالغصن وقد سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما
حرم قطعه من شجر الحرم بين ورقه وغيره فلما لم يمنع من ورق السدر
دل على جواز قطع السدر (قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى)
وصف الله تعالى وتقدس فى هذه الآية أدب النبى صلى الله عليه وسلم
فى ذلك المقام وثبوته ونفى عنه ما يعرض للرائى الذى لا دبه بين يدى
العظماء اذا ورد على مقام يدهش فيه من التفاته يمينا وشمالا
ومجاوزته بصره الى ما بين يديه بقوله ما زاغ البصر أى ما مال والزيغ
ميل البصر أى بصر النبى صلى الله عليه وسلم وما طغى أى بصره أى
ما تجاوز وامتد أمامه الى حيث ينتهى قال ابن عباس ما زاغ

البصر

البصر يمينا ولا شمالا ولا جاوز ما أمر به وكما ان معنى الآية وصف أدب النبي صلى الله عليه وسلم فهي متضمنة أيضا الوصف قوة نظره ويقينه وقلبه لتحقيق الامر ونفي وجوه الريب عنه فلم يلتفت بابنا عيناولاشمالا ولا قصر عن كشف الامر وحقيقته ولا جاوزه ولا مد بصره الى شئ غير المقصود مما رآه من الآيات واستقبله من العجايب وأثبت ما رآه اثباتا مستقيما صحيحا وذلك غاية القوة والادب أوما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها ومكن منها وما جاوز ما أمر برؤيته بل قام مقام العبد الذي أوجب أدبه واطراقه واقباله على ما أريه دون التفاته الى غيره ودون تطلعه الى مالم يره مع ما في ذلك من ثبات الجأش وسكون القلب وطمأنينته وهذا غاية الكمال وقد نزه الله تعالى في هذه السورة علمه عن الضلال وقصده وعمله عن الغي ونطقه عن الهوى وفؤاده عن تكذيب بصره وبصره عن الزيغ والطغيان وهكذا يكون المدح

* هكذا هكذا و لا فلا لا * (قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى) قد أكد سبحانه وتعالى ما ذكره في هذه الآية بالقسم فقال لقد رأى أي والله لقد رأى أي أبصر من آيات ربه وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج أو من آيات ربه الكبرى الدالة على قدرته وعظمته والآيات جمع آية وهي العلامة ووصفها بالكبرى لتميزها عن غيرها ولبيان نوعها لو آيات الله تعالى لا تحصى وأعظم الآيات الكبرى فلا يحاط بها والشئ اذا لم يحط به فلا يدرك تعيينه والكبرى يجوز ان تكون مفعول رأى ومن آيات ربه حال متقدمة على ذيها وكلمة من للبيان لانه المناسب لمرام

المقام والتقدير لقد رأى الآيات الكبرى من آيات ربه قال
الشهاب الحلبي وهذا هو الظاهر ويجوز ان يكون الكبرى على
اعراب كونها مفعولا نعتا المفرد والتقدير لقد رأى من آيات ربه
الآية التي هي كبراها وعظماها بجعل الاسراء وما فيه من العجائب
كالشئ الواحد ويجوز ان تكون الكبرى نعتا الآيات ربه وهذا
الجمع يجوز وصفه بوصف المؤنثة الواحدة وحسنه هنا كونها فاصلة
لتوافق الفواصل ومن آيات ربه مفعول رأى ومن للتبعيض
والتقدير لقد رأى بعض آيات ربه الكبرى ويجوز على كون الكبرى
نعتا للآيات ان يكون المفعول الثاني لرأى محذوفا والتقدير لقد
رأى شيأ عظيما من آيات ربه الكبرى ومشى على ذلك البيضاوى
وأيده بعضهم بان المقام يقتضي التعظيم وفيما ذكر تعظيم للمرئى
* واختلفوا في تعيين ما رآه من تلك الآية الكبرى فقيل جبريل في
صورته قال الامام والظاهر ان هذه الآيات غير تلك لان جبريل
وان كان عظيما لكن ورد في الاخبار أن لله ملائكة أعظم منه
والكبرى تأنيث الاكبر فكأنه تعالى قال لقد رأى من آيات ربه
الكبرى آيات هي أكبر الآيات وقيل المرئى السدرة وقيل ما رآه
حين رقي به الى السموات وما فوقهما من عجائب الملكوت وغير ذلك
وأما قول القرطبي وقيل هو ما رآه تلك الليلة في مسراه وعوده وبدئه
وهذا أحسن فلا يناسب قوله في آية الاسراء لنريه من آياتنا قال
الامام ما ملخصه وهذه الآية تدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم ير الله تعالى ليلة المعراج وانما رأى آيات الله تعالى وفيه خلاف
ووجه الدلالة انه تعالى ختم قصة المعراج ههنا برؤية الآيات

وقال

وقال فى أواخر قصة الاسراء لتريه من آياتنا ولو كان رأى ربه لكان
ذلك أعظم ما يمكن فكانت الآية الرؤية وكان أكبر شئ هو الرؤية
وقال ابن كثير وبهاتين الآيتين استدل من ذهب من أهل السنة
الى ان الرؤية تلك الليلة لم تقع لانه قال لقد رأى من آيات ربه
الكبرى ولو كان رأى ربه لاخبر بذلك ولقال ذلك للناس قلت لادلالة
فى عدم ذكر الرؤية فى الآيتين على عدم وقوعها لاحتمال انها
وقعت وكتمت خوفا من الانكار ومن توهم معارضتها الدلائل الدالة
على عدم وقوعها فى هذه الدار ويحتمل دخولها فيما رآه من الآيات
الكبرى بل هى أكبرها أودل عليها قوله تعالى ما كذب الفؤاد
ما رأى ولقد رآه نزلة أخرى كما نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما انه
كان يثبت الرؤية ليلة الاسراء ويستشهد بذلك وتابعه جماعة من
السلف والخلف وقد خالفه جماعة من الصحابة والتابعين رضى
الله تعالى عنهم أجمعين * وحيث انتهى الكلام على ذكر بعض
فوائد هذه الآيات الشريفة فلنسق القصة على نسق واحد وان
كانت مأخوذة من أحاديث متعددة لتكون أبهج للسامعين
وأنعش لقلوب المؤمنين ونتكلم على بعض فوائدها ان شاء الله
تعالى (فنقول) بينما النبى صلى الله عليه وسلم عند البيت فى الحجر
مضطجعا بين رجلين اذ أتاه جبريل وميكائيل ومعهما ملك آخر
فاحتملوه حتى جاؤا به زمزم فاستلقوه على ظهره فتولاه منهم جبريل
وفى رواية فرج سقف بيتى فنزل جبريل فشق من ثغرة نحره الى أسفل
بطنه ثم قال جبريل لميكائيل ائتنى بطست من ماء زمزم كيما أطهر
قلبه وأشرح صدره فاستخرج قلبه فغسله ثلاث مرات ونزع

ما كان فيه من أذى واختلف اليه ميكائيل بثلاث طسات من
ماء زمزم ثم أتى بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغه
في صدره وملأه حلما وعلما ويقينا واسلاما ثم أطبقه ثم ختم
بين كتفيه بخاتم النبوة * ثم أتى بالبراق مسرجا ملجما وهو دابة
أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه
مضطرب الاذنين اذا أتى على جبل ارتفعت رجلاه واذا هبط
ارتفعت يداه له جناحان في فخذيه يحفز بهما رجليه فاستصعب
عليه فوضع جبريل يده على معرفته ثم قال الا تستحي يابراق فوالله
ماركبك خلق أكرم على الله منه فاستحى حتى ارفض عرقا وقر
حتى ركبها وكانت الانبياء تركبها قبله * وقال سعيد بن المسيب
وغيره وهي دابة ابراهيم التي كان يركب عليها للبيت الحرام فانطلق
به جبريل وهو عن يمينه وميكائيل عن يساره وعند أبي سعيد ٣ وكان
الآخذ بركابه جبريل وبزمام البراق ميكائيل فساروا حتى بلغوا
أرضا ذات نخل فقال له جبريل انزل فصل ههنا ففعل ثم ركب فقال له
جبريل أتدري أين صليت قال لا قال صليت بطيبة واليها المهاجرة
فانطلق البراق يهوي به يضع حافره حيث أدرك طرفه فقال له جبريل
انزل فصل ففعل ثم ركب فقال أتدري أين صليت قال لا قال صليت
بمدين عند شجرة موسى ثم ركب فانطلق البراق يهوي به ثم قال
انزل فصل ففعل ثم ركب فقال أتدري أين صليت قال لا قال صليت
بطور سيناء حيث كلم الله تعالى موسى ثم بلغ أرضا فبدت له
قصور فقال له جبريل انزل فصل ففعل ثم ركب فانطلق البراق
يهوي به فقال له جبريل أتدري أين صليت قال لا قال صليت ببيت

٣ قوله وعند أبي سعيد هكذا في نسخ الكبير وفي الصغير وعند ابن سعد وقد وقع في نسخ الكبير مخالفة في ألفاظ لبعضه لما في الصغير فليحرر

لحم

لحم حيث ولد عيسى وبينما هو يسير على البراق اذ رأى عفريتا من
الجن يطلبه بشعلة من نار كلما التفت رآه فقال له جبريل الا أعلمك
كلمات تقولهن اذا قلتهن طفئت شعلته وخر لفيه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بلى فقال جبريل قل أعوذ بوجه الله الكريم
وبكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل
من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ فى الارض ومن
شر ما يخرج منها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل
والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن فانكب لفيه وطفئت
شعلته فساره وأتى على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم كلما
حصدوا عاد كما كان فقال يا جبريل ما هذا قال هؤلاء المجاهدون
فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف وما انفقوا من
شئ فهو يخلفه * ووجد ريحا طيبة فقال يا جبريل ما هذه الرائحة
فقال هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها بينما هى تمشط بنت
فرعون اذ سقط المشط فقالت بسم الله تعس فرعون فقالت ابنة
فرعون أولك رب غير أبى قالت نعم قالت أفأخبر بذلك أبى قالت نعم
فاخبرته فدعاها فقال ألك رب غيرى قالت نعم ربى وربك الله وكان
للمرأة ابنان وزوج فأرسل اليهم فراود المرأة وزوجها أن يرجعا
عن دينهما فابيا فقال انى قاتلكما قالت احسانا منك
الينا ان قتلتنا أن تجعلنا فى بيت فتدفننا جميعا قال ذلك بمالك
علينا من الحق فامر ببقرة من نحاس فأحميت ثم أمر بهم ان تلقى
فيها هى وأولادها فالقوا واحدا واحدا حتى بلغوا أصغر
رضيع فيهم فقال يا أمه قعى ولا تقاعسى فانك على الحق فالقيت

هي وأولادها قال وتكلم أربعة وهم صغار هذا وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم * وأتى على قوم ترضخ رؤسهم كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء فقال يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين تتثاقل رؤسهم عن الصلاة المكتوبة * ثم أتى على قوم على اقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الابل والغنم ويأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها فقال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله شيأ ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدور ولحم آخر نيء خبيث فجعلوا يأكلون من النيء الخبيث ويدعون النضيج الطيب فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتأتي رجلا خبيثا فتبيت معه حتى تصبح * ثم أتى على خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب ولا شيء الا خرقته فقال ما هذا يا جبريل قال هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه وتلا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون * ورأى رجلا يسبح في نهر من دم يلقم الحجارة فقال من هذا فقال آكل الربا * ثم أتى على رجل قد جمع حزمة حطب لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل من أمتك تكون عنده أمانات الناس لا يقدر على أدائها ويريد أن يحمل عليها * وأتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم فقال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء الفتنة خطباء أمتك

يقولون

يقولون مالا يفعلون * ومر بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون
وجوههم وصدورهم فقال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين
يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم * وأتى على جحر صغير
يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج
فلا يستطيع فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل من أمتك
يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها * وبينما هو
يسير اذ دعاه داع عن يمينه يا محمد انظرني اسألك فلم يجبه فقال ما هذا
يا جبريل قال هذا داعي اليهود أما انك لو اجبته لتهودت أمتك
وبينما هو يسير اذ دعاه داع عن شماله يا محمد انظرني أسألك فلم يجبه
فقال ما هذا يا جبريل قال هذا داعي النصارى أما انك لو أجبته
لتنصرت أمتك * وبينما هو يسير اذ هو بامرأة حاسرة عن ذراعيها
وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى فقالت يا محمد انظرني أسألك
فلم يلتفت اليها فقال من هذه يا جبريل قال تلك الدنيا أما انك
لو أجبتها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة * وبينما هو يسير فاذا
هو بشيخ يدعوه متنحيا عن الطريق يقول هلم يا محمد فقال جبريل
بل سر يا محمد فقال من هذا قال هذا عدو الله ابليس أراد أن تميل اليه
وسار فاذا هو بعجوز على جانب الطريق فقالت يا محمد انظرني أسألك
فلم يلتفت اليها فقال من هذه يا جبريل قال انه لم يبق من عمر الدنيا الا
ما بقي من عمر هذه العجوز * وسار حتى أتى مدينة بيت المقدس ودخلها
من بابه اليماني ثم نزل عن البراق وربطه بباب المسجد بالحلقة التي كانت
تربط بها الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفي رواية ان جبريل أتى
الصخرة فوضع اصبعه فيها فخرقها وشد بها البراق ودخل المسجد من

باب تميل فيه الشمس والقمر * ثم صلى هو وجبريل كل واحد ركعتين
فلم يلبث الا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير فعرف النبيين من بين قائم
وراكع وساجد ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة فقاموا صفوفا
ينتظرون من يؤمهم فأخذ جبريل بيده صلى الله عليه وسلم فقدمه
فصلى بهم ركعتين * وعن كعب فأذن جبريل ونزلت الملائكة من
السماء فحشر الله تعالى له المرسلين فصلى النبي صلى الله عليه وسلم
بالملائكة والمرسلين فلما انصرف قال جبريل يا محمد أتدرى من صلى
خلفك قال لا قال كل نبي بعثه الله تعالى ثم أثنى كل نبي من الانبياء
على ربه بثناء جميل فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلكم أثنى على
ربه وأنا مثن على ربي ثم شرع يقول الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين
وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل على القرآن فيه تبيان لكل شيء
وجعل أمتى خير أمة أخرجت للناس وجعل أمتى وسطا وجعل
أمتى هم الاولون والآخرون وشرح لى صدرى ووضع عنى
وزرى ورفع لى ذكرى وجعلنى خاتما فاتحا فقال ابراهيم عليه
الصلاة والسلام بهذا فضلكم محمد صلى الله عليه وسلم * وأخذ النبى
صلى الله عليه وسلم من العطش أشد ما أخذه فجاءه جبريل صلى الله
عليه وسلم باناء من خمر واناء من لبن فاختار اللبن فقال له جبريل
اخترت الفطرة ولو شربت الخمر لغوت أمتك ولم يتبعك منهم الا القليل
وفى رواية أن الآنية كانت ثلاثة والثالث فيه ماء وان جبريل قال
له لو شربت الماء لغرقت أمتك وفى رواية ان أحد الآنية التى
عرضت عليه كان فيه عسل بدل الماء وانه رأى عن يسار الصخرة
الحور العين وسلم عليهن فرددن عليه السلام وسألهن فأجبنه بما

تقربه

تقربه العين * ثم أتى بالمعراج الذى تعرج عليه أرواح بنى آدم فلم تر
الخلائق أحسن منه له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب وهو من
جنة الفردوس منضد باللؤلؤ عن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة
فصعد هو وجبريل حتى انتهيا الى باب من أبواب سماء الدنيا يقال له
باب الحفظة وعليه ملك يقال له اسمعيل وهو صاحب سماء الدنيا
يسكن الهواء لم يصعد الى السماء قط ولم يهبط الى الارض الا يوم
مات النبى صلى الله عليه وسلم وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك
جنده مائة الف فاستفتح جبريل باب السماء قيل من هذا قال جبريل
قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد أرسل اليه وفى رواية بعث اليه
قال نعم قيل مرحبا به وأهلا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ
ونعم الخليفة ونعم المجىء جاء ففتح لهما فلما خلصا فاذا فيها آدم عليه
الصلاة والسلام كهيئته يوم خلقه الله تعالى على صورته تعرض
عليه أرواح الانبياء وذريته المؤمنين فيقول روح طيبة ونفس
طيبة اجعلوها فى عليين ثم تعرض عليه أرواح ذريته الكفار
فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها فى سجين وعن يمينه اسودة
وباب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله أسودة وباب يخرج منه
ريح خبيثة فاذا نظر قبل يمينه ضحك واستبشر واذا نظر قبل شماله
حزن وبكى فسلم عليه النبى صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم قال
مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح فقال النبى صلى الله عليه وسلم
ياجبريل من هذا قال هذا أبوك آدم وهذه الاسودة نسم بنيه فأهل
اليمين منهم أهل الجنة وأهل الشمال منهم أهل النار فاذا نظر عن
يمينه ضحك واذا نظر عن شماله بكى وهذا الباب الذى عن يمينه باب

الجنة اذا نظر من يدخله من ذريته ضحك واستبشر والباب الذى عن شماله باب جهنم اذا نظر من يدخله من ذريته بكى وحزن ثم مضى هنيهة فوجد آكلى الربا وأموال اليتامى والزناة وغيرهم على حالة شنيعة بنحو ما تقدم وأشنع * ثم صعد الى السماء الثانية فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به وأهلا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجىء جاء ففتح لهما فلما خلصا فاذا هو بابنى الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا شبيه أحدهما بصاحبه بثيابهما وشعرهما ومعهما نفر من قومهما واذا عيسى جعد مربوع الى الحمرة والبياض سبط الرأس كأنما خرج من ديماس أى حمام شبيه بعروة بن مسعود الثقفى فسلم عليهما فردا عليه السلام ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح ودعيا له بخير * ثم صعد الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به وأهلا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجىء جاء ففتح لهما فلما خلصا فاذا هو بيوسف عليه الصلاة والسلام ومعه نفر من قومه فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح ودعا له بخير واذا هو قد أعطى شطر الحسن وفى رواية أحسن ما خلق الله قد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب قال من هذا يا جبريل قال اخوك يوسف * ثم صعد الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به

واهلا

واهلا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجئ
جاء ففتح لهما فلما خلصا فاذا هو بادريس عليه الصلاة والسلام
قد رفعه الله مكانا عليا فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال مرحبا
بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم دعا له بخير * ثم صعد الى السماء
الخامسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل أوقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به وأهلا حياه الله
من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجئ جاء ففتح لهما
فلما خلصا فاذا هو بهرون عليه الصلاة والسلام ونصف لحيته
بيضاء ونصف لحيته سوداء تكاد تضرب الى سرته من طولها وحوله
قوم من بني اسرائيل وهو يقص عليهم فسلم عليه فرد عليه السلام
ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم دعا له بخير فقال من هذا
يا جبريل قال هذا الرجل المحبب في قومه هرون بن عمران * ثم صعد
الى السماء السادسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل
ومن معك قال محمد قيل أوقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به
وأهلا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم
المجئ جاء ففتح لهما فجعل يمر بالنبي والنبيين معهم الرهط والنبي
والنبيين معهم القوم والنبي والنبيين ليس معهم أحد ثم مر
بسواد عظيم فقال من هذا قيل موسى وقومه ولكن ارفع رأسك
فاذا بسواد عظيم قد سد الافق من ذا الجانب ومن ذا الجانب فقيل له
هؤلاء امتك وسوى هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب فلما
خلصا فاذا هو بموسى بن عمران رجل آدم طوال كأنه من رجال
شنوءة كثير الشعر لو كان عليه قميصان لنفذ شعره دونهما فسلم عليه

النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم قال مرحبا بالاخ
الصالح والنبي الصالح ثم دعا له بخير وقال يزعم الناس أني أكرم
على الله من هذا بل هذا أكرم على الله مني فلما جاوزه النبي صلى الله
عليه وسلم بكى فقيل له ما يبكيك قال أبكي لان غلاما بعث من بعدي
يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل الجنة من أمتي يزعم بنو
اسرائيل اني أكرم بني آدم على الله وهذا رجل من بني آدم خلفني
في دنيا وأنا في أخرى فلو انه في نفسه لم أبال ولكن معه أمته * ثم صعد
الى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل
ومن معك قال محمد قيل أوقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به
وأهلا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء
جاء ففتح لهما فلما خلصا فاذا النبي صلى الله عليه وسلم بابراهيم
الخليل عليه الصلاة والسلام جالس عند باب الجنة على كرسي مسند
ظهره الى البيت المعمور ومعه نفر من قومه فسلم عليه النبي صلى الله
عليه وسلم فرد عليه السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي
الصالح ثم قال مر امتك فلتكثر من غراس الجنة فان تربتها طيبة
وأرضها واسعة فقال وما غراس الجنة قال لا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم وفي رواية أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم ان الجنة
طيبة التربة عذبة الماء وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله أكبر وعنده قوم جلوس بيض الوجوه امثال القراطيس وقوم
في ألوانهم شيء فقام هؤلاء الذين في ألوانهم شيء فدخلوا نهرا فاغتسلوا
فيه فخرجوا وقد خلص من الوانهم شيء ثم دخلوا نهرا فاغتسلوا
فيه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء ثم دخلوا نهرا فاغتسلوا

فيه نفر جوا وقد خلصت ألوانهم فصارت مثل ألوان أصحابهم فجاؤا
فجلسوا الى أصحابهم فقال يا جبريل من هؤلاء البيض الوجوه ومن
هؤلاء الذين فى ألوانهم شئ وما هذه الانهار التى دخلوها فقال أما
هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا ايمانهم بظلم وأما الذين فى
الوانهم شئ فقوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فتابوا فتاب الله
عليهم وأما هذه الانهار فأولها رحمة الله والثانى نعمة الله
والثالث سقاهم ربهم شرابا طهورا وقيل له هذا مكانك ومكان
أمتك واذا هو بامته شطرين شطر عليهم ثياب بيض كأنها
القراطيس وشطر عليهم ثياب رمد فدخل البيت المعمور ودخل
معه الذين عليهم الثياب البيض وحجب الآخرون الذين عليهم
الثياب الرمد وهم على خير فصلى ومن معه من المؤمنين فى البيت
المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه
الى يوم القيامة وانه بحذاء الكعبة لو خر منه حجر لخر عليها آخر
ما عليهم ثم خرج ومن معه وفى رواية أنه عرضت عليه الآنية
الثلاثة المتقدمة فأخذ اللبن فصوب جبريل فعله كما تقدم وقال
كما فى رواية هذه الفطرة التى أنت عليها وأمتك * ثم رفع الى سدرة
المنتهى واليها ينتهى ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهى
ما يهبط من فوق فيقبض منها واذا هى شجرة يخرج من أصلها أنهار
من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة
للشاربين وأنهار من عسل مصفى يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما
لا يقطعها واذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها كآذان الفيلة
تكاد الورقة تغطى هذه الامة وفى رواية الورقة منها تظل الخلق

على كل ورقة منها ملك فغشيها ألوان لا يدرى ما هى فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت وفى رواية تحولت ياقوتا وزبرجدا فما يستطيع أحد ان ينعتها من حسنها فيها فراش من ذهب واذا فى أصلها أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقال ما هذه يا جبريل قال أما الباطنان فنهران فى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات * وفى رواية انه رأى جبريل عند السدرة وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الافق يتناثر من أجنحته التهاويل الدر والياقوت مما لا يعلمه الا الله تعالى * ثم أخذ على الكوثر حتى دخل الجنة فاذا فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فرأى على بابها مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر فقال يا جبريل ما بال القرض أفضل من الصدقة قال لان السائل يسأل وعنده شئ والمستقرض لا يستقرض الا من حاجة فسار فاذا هو بانهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى واذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا رمانها كالدلاء وفى رواية فاذا فيها رمان كانه جلود الابل المقتبة واذا بطيرها كالبخاتى فقال أبو بكر يا رسول الله ان تلك الطير لناعمة قال أكلتها أنعم منها وانى لارجوان تأكل منها * ورأى نهر الكوثر على حافتيه قباب الدر المجوف واذا طينه مسك أذفر * ثم عرضت عليه النار فاذا فيها غضب الله وزجره ونقمته لو طرح فيها الحجارة والحديد لاكلتها فاذا فيها قوم يأكلون الجيف فقال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس * ورأى مالكا خازن النار فاذا هو رجل عابس يعرف الغضب فى وجهه فبدأ النبى صلى الله عليه وسلم

بالسلام

بالسلام ثم أغلقت دونه * ثم رفع الى سدرة المنتهى فغشيته سحابة فيها من كل لون فتأخر جبريل * ثم عرج به حتى ظهر لمستوى سمع فيه صريف الاقلام ورأى رجلا مغيبا فى نور العرش فقال من هذا أملك قيل لا قال أنبي قيل لا قال من هو قيل هذا رجل كان فى الدنيا لسانه رطب بذكر الله تعالى وقلبه معلق بالمساجد ولم يستسب لوالديه قط فرأى ربه سبحانه وتعالى فخر النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا وكلمه ربه عند ذلك فقال يا محمد قال لبيك يارب قال سل فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا وأعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما وأعطيت داود ملكا عظيما وألنت له الحديد وسخرت له الجبال وأعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الجن والانس والشياطين وسخرت له الرياح وأعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذنك وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان عليهما سبيل فقال الله سبحانه وتعالى قد اتخذتك حبيبا قال الراوى وهو مكتوب فى التوراة حبيب الله وأرسلتك للناس كافة بشيرا ونذيرا وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك لا أذكر الا ذكرت معي وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس وجعلت أمتك أمة وسطا وجعلت أمتك هم الاولون والآخرون وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم وجعلتك أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا وأولهم يقضى له وأعطيتك سبعا من المثاني لم أعطها نبيا

قبلك وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش
لم أعطها نبيا قبلك وأعطيتك الكوثر وأعطيتك ثمانية أسهم
الاسلام والهجرة والجهاد والصدقة وصوم رمضان والامر
بالمعروف والنهي عن المنكر واني يوم خلقت السموات والارض
فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فقم بها أنت وأمتك
وفي رواية وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس
وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيأ المقحمات
ثم انجلت عنه السحابة وأخذ بيده جبريل فانصرف سريعا فاتى
على ابراهيم فلم يقل شيأ ثم أتى على موسى قال ونعم الصاحب
كان لكم فقال ما صنعت يا محمد ما فرض ربك عليك وعلى أمتك
قال فرض علي وعلى أمتي خمسين صلاة كل يوم وليلة قال ارجع
الى ربك فاسأله التخفيف عنك وعن أمتك فان أمتك لا تطيق ذلك
فاني قد خبرت الناس قبلك وبلوت بني اسرائيل وعالجتهم أشد
المعالجة على أدنى من ذلك فضعفوا عنه وتركوه فامتك أضعف
أجسادا وأبدانا وقلوبا وأبصارا وأسماعا فالتفت النبي صلى الله عليه
وسلم الى جبريل يستشيره فاشار اليه جبريل أن نعم ان شئت فرجع
سريعا حتى انتهى الى الشجرة فغشيته السحابة وخر ساجدا وقال رب
خفف عن أمتي فانها أضعف الامم قال قد وضعت عنهم خمسا ثم
انجلت السحابة ورجع الى موسى فقال وضع عني خمسا فقال
ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك لا تطيق ذلك فلم يزل يرجع
بين موسى وبين ربه يحط عنه خمسا خمسا حتى قال يا محمد قال لبيك
وسعديك قال هن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك

خمسون صلاة لا يبدل القول لدى ولا ينسخ كتابى ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيأ فان عملها كتبت سيئة واحدة فنزل حتى انتهى الى موسى فاخبره فقال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف فان أمتك لا تطيق ذلك فقال قد راجعت ربى حتى استحييت منه ولكن أرضى وأسلم فنادى مناد أن قد أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى فقال له موسى اهبط بسم الله ولم يمر على ملا من الملائكة الا قالوا عليك بالحجامة وفى رواية مر أمتك بالحجامة ثم انحدر فقال لجبريل مالى لم آت أهل سماء الا رحبوا بى وضحكوا الى غير واحد سلمت عليه فرد على السلام و رحب بى ودعا لى ولم يضحك لى فقال ذلك مالك خازن النار لم يضحك منذ خلق ولو ضحك لاحد لضحك لك فلما نزل الى سماء الدنيا نظر الى أسفل منه فاذا هو برهج ودخان وأصوات فقال ماهذا يا جبريل قال هذه الشياطين يحومون على أعين بنى آدم لا يتفكرون فى ملكوت السموات والارض ولو لا ذلك لرأوا العجائب * ثم ركب منصرفا فمر بعير لقريش بمكان كذا وكذا فيها جمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذى العير نفرت واستدارت وصرع ذلك البعير وانكسر * ومر بعير قد ضلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان فسلم عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ثم أتى أصحابه قبيل الصبح بمكة فلما أصبح قطع وعرف ان الناس تكذبه فقعد حزينا فمر به عدو الله أبو جهل فجاء حتى جلس اليه فقال له كالمستهزئ هل كان من شئ قال نعم قال ماهو قال أسرى بى الليلة قال الى أين قال الى بيت المقدس قال ثم أصبحت بين ظهرانينا قال نعم فلم

ير أنه يكذبه مخافة أن يجحده الحديث ان دعا قومه اليه قال أرأيت
ان دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتني قال نعم قال يا معشر بني كعب
ابن لؤي هلموا فانتفضت اليه المجالس وجاؤا حتى جلسوا اليهما فقال
حدث قومك بما حدثتني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى
أسري بى الليلة قالوا الى أين قال الى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت
بين ظهرانينا قال نعم فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه
متعجبا وضجوا وأعظموا ذلك فقال المطعم بن عدى كل أمرك قبل
اليوم كان أمما غير قولك اليوم أنا أشهد أنك كاذب نحن نضرب
أكباد الابل الى بيت المقدس مصعدا شهرا ومنحدرا شهرا تزعم انك
أتيته فى ليلة واللات والعزى لا أصدقك فقال أبو بكر رضى
الله عنه يا مطعم بئس ما قلت لابن أخيك جبهته وكذبته أنا أشهد انه
صادق فقالوا يا محمد صف لنا بيت المقدس كيف بناؤه وكيف هيئته
وكيف قربه من الجبل وفى القوم من سافر اليه فذهب ينعت
لهم بناؤه كذا وهيئته كذا وقربه من الجبل كذا فما زال ينعت
لهم حتى التبس عليه النعت فكرب كربا ما كرب مثله فجىء بالمسجد
وهو ينظر اليه حتى وضع دون دار عقيل أو عقال فقالوا كم للمسجد
من باب ولم يكن عدها فجعل ينظر اليها ويعدها بابا بابا ويعلمهم
وأبو بكر يقول صدقت صدقت أشهد أنك رسول الله فقال القوم
أما النعت فوالله لقد أصاب ثم قالوا لابى بكر أفتصدقه أنه ذهب
الليلة الى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح قال نعم انى لاصدقه فيما
هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء فى غدوة أو روحة فبذلك سمى
أبو بكر الصديق ثم قالوا يا محمد أخبرنا عن عيرنا فقال أتيت على

عير

عير بني فلان بالروحاء قد ضلوا ناقة لهم فانطلقوا في طلبها فانتهيت الى رحالهم فليس بها منهم أحد واذا بقدح ماء فشربت منه ثم انتهيت الى عير بني فلان بمكان كذا وكذا فيها جمل أحمر عليه غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذيت العير نفرت وصرع ذلك البعير وانكسر ثم انتهيت الى عير بني فلان في التنعيم يقدمها جمل أورق عليه مسح أسود وغرارتان سوداوان وها هي ذه تطلع عليكم من الثنية قالوا فمتى تجيء قال يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينتظرون وقد ولى النهار ولم تجيء فدعا النبي صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست له الشمس حتى دخلت العير فاستقبلوا الابل فقالوا هل ضل لكم بعير قالوا نعم قال فسألوا العير الآخر فقالوا هل انكسر لكم ناقة حمراء قالوا نعم قالوا فهل كان عندكم قصعة من ماء فقال رجل أنا والله وضعتها فما شربها أحد منا ولا أهريقت في الارض فرموه بالسحر وقالوا صدق الوليد فأنزل الله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس (ولنشرع) الآن بمعونة الله تعالى في الكلام على بعض الفوائد المتعلقة بقصة الاسراء والمعراج من عدة أوجه *(الوجه الاول في كيفية الاسراء والمعراج وهل تكرر اولا)* وقد اختلف في ذلك والذي ذهب اليه الجمهور من المفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين انهما وقعا في ليلة واحدة بالروح والجسد معا في اليقظة لا في المنام من مكة الى بيت المقدس الى السموات العلا الى سدرة المنتهى الى حيث شاء العلي الاعلى قال القاضي عياض وغيره وهو الحق وعليه تدل الآية نصا وصحيح الاخبار الى السموات استفاضة ولا يعدل عن

الظاهر والاخبار الواردة فيه ولا عن الحقيقة المتبادرة الى الاذهان من ألفاظها الى التأويل الا عند الاستحالة وتعذر حمل اللفظ على حقيقته وليس فى الاسراء بجسده وحال يقظته استحالة تؤذن بتأويل اذ لو كان مناما لقال سبحان الذى أسرى بروح عبده ولم يقل بعبده والعبد حقيقة هو الروح والجسد كما تقدم ذلك ولو كان مناما لما كان فيه آية ولا معجزة خارقة للعادة تورث صدقه وان كانت رؤيا الانبياء وحيا اذ ليس فيه من الابلغية وخرق العادة ما فيه يقظة وأيضا لو كان مناما لما استبعده المشركون ولا كذبوه ولا ارتد به ضعفاء من أسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن منهم ذلك الاستبعاد والتكذيب والارتداد والافتتان الا وقد علموا ان خبره انما كان عن جسمه وحال يقظته وذلك بعيد عن ساحة العادة خصوصا ووقوعه فى مثل ذلك الزمن مما يستبعد جدا * وذهب بعضهم الى ان الاسراء كان فى ليلة والمعراج كان فى ليلة أخرى قال ابن دحية واليه جنح البخارى لانه أفرد لكل منهما ترجمة قال الحافظ ابن حجر ولا دلالة فى ذلك على التغاير عنده بل كلامه فى أول الصلاة ظاهر فى اتحادهما وذلك لأنه ترجم باب كيف فرضت الصلاة ليلة الاسراء والصلاة انما فرضت فى المعراج فدل على اتحادهما عنده وانما أفرد كلا منهما بترجمة لان كلا منهما يشتمل على قصة منفردة وان كانا وقعا معا انتهى * ويؤيد وقوع المعراج عقب الاسراء فى ليلة واحدة رواية ثابت رضى الله عنه عند مسلم أتيت بالبراق فركبت حتى أتيت بيت المقدس فذكر القصة الى ان قال ثم عرج بى الى السماء الدنيا وحديث ابى سعيد الخدرى

عن

عن ابن اسحق فلما فرغت مما كان فى بيت المقدس أتى بالمعراج فذكر الحديث * وذهب جماعة الى ان الاسراء كان بروحه فى المنام ويعزى هذا المذهب لمعاوية رضى الله تعالى عنه واحتج لذلك بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس والرؤيا انما تطلق على ما كان مناما ولظاهر ما فى بعض الاحاديث من قوله بينا أنا نائم وفى بعض الطرق فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام ويعزى هذا المذهب أيضا لعائشة رضى الله تعالى عنها لما فى حديث ابن اسحق من قولها ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما أسرى بروحه وأجيب عن الآية بان الرؤيا قد تكون بمعنى الرؤية فى اليقظة كما نقل عن ابن عباس وبأن قوله فتنة للناس يؤيد انها رؤية عين اذ ليس فى الحلم فتنة ولا يكذب به أحد * وعن قوله بينا أنا نائم بان أول مجىء الملك اليه وهو نائم فايقظه لا انه استمر نائما وأما قوله فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام فمعناه أفقت أى أفاق مما كان فيه من شغل البال بمشاهدته عجائب الملكوت ورجع الى عالم الملك فلم يرجع الى حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام على ان الحديث الذى ورد فيه ذكر النوم موهن فان العلماء اتفقوا على ان شريكا راويه اضطرب فيه وما حفظه وزاد ونقص وقدم وأخر وعما يعزى لعائشة بأنه لم يرد بسند صحيح يصلح للحجة بل فى سنده انقطاع وراو مجهول وبتقدير صحته فعائشة لم تكن زوجته اذ ذاك ولا كانت فى سن من يضبط الامور وعلى القول بان الاسراء كان بعد المبعث بعام لم تكن ولدت بعد فاذا لم تشاهد ذلك دل على انها حدثت به عن غيرها فلم يرجح خبرها مع قول أم هانى بخلافه

* وذهب جماعة منهم الامام أبو شامة الى تكرار الاسراء والمعراج واحتج بما رواه البزار وغيره عن أنس رضى الله عنه من قصة فى المعراج مخالفة لما تقدم فى قصة قال الحافظ ابن حجر ولا بعد فى وقوع مثل ذلك فى المنام وانما المستغرب وقوع التعدد فى قصة المعراج التى وقع فيها السؤال عن كل نبى وسؤال أهل كل سماء هل بعث اليه وفرض الصلوات الخمس وغير ذلك فان تعدد مثل ذلك فى اليقظة لا يتجه فيتعين رد بعض الروايات المختلفة الى بعض أو الترجيح الا انه لا بعد فى وقوع جميع ذلك فى المنام ثم وقوعه فى اليقظة على وفقه اه وقد ذهب جماعة منهم البغوى وجزم به النووى فى فتاويه الى ان الاسراء وقع مرتين مرة فى النوم ومرة فى اليقظة قالوا وكانت مرة النوم توطئة هو تيسيرا عليه كما كان بدء نبوته الرؤيا الصادقة ليسهل عليه أمر النبوة فانه أمر عظيم تضعف عنه القوى البشريه وكذلك الاسراء سهله عليه الرؤيا لان هوله عظيم فجاء فى اليقظة على وفقه فى المنام توطئة وتقدمة رفقا من الله تعالى بعبده وتسهيلا عليه * (الوجه الثانى فى وقت الاسراء به ومكانه)

أما وقت الاسراء فالصواب الذى اتفق عليه العلماء ان الاسراء كان بعد البعثة وأما ما وقع فى بعض الروايات انه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى اليه فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيحمل على ان المجىء الثانى كان بعد أن أوحى اليه وحينئذ وقع الاسراء والمعراج واذا كان بين المجيئين مدة فلا فرق بين أن تكون قليلة أو كثيرة قال ابن كثير وهذا المحمل هو الاظهر وبه يرتفع الاشكال كما قاله الحافظ ابن حجر ويحتمل كما قاله بعضهم أن يكون

المعنى

المعنى قبل أن يوحى اليه فى شأن الاسراء والمعراج مثلا أى يوقع
ذلك بغتة قبل أن ينذر به اهـ (واختلفوا) فى أى سنة كان فجزم
جمع بأنه كان قبل الهجرة بسنة وجرى عليه النووى وبالغ ابن حزم
فنقل فيه الاجماع وقيل قبل الهجرة بثلاث سنين حكاه ابن الاثير
وقال القاضى عياض قبل الهجرة بخمس سنين ورجحه بالاتفاق على
ان خديجة صلت معه بعد فرض الصلاة وانها ماتت قبل الهجرة
بثلاث أو خمس ولا خلاف ان فرضها كان ليلة الاسراء وأجيب
بأن الصلاة التى صلتها معه هى التى كانت أول البعثة وكانت ركعتين
بالغداة وركعتين بالعشى وانما الذى فرض ليلة الاسراء الصلوات
الخمس وماتت خديجة قبل ذلك * وقيل كان بعد البعثة بخمس سنين
وقيل بخمسة عشر شهرا وقيل بعام ونصف واختلفوا أيضا فى أى
الشهور كان فجزم ابن الاثير وجمع منهم النووى فى فتاويه
كما فى النسخ المعتمدة بانه كان فى ربيع الاول قال النووى ليلة سبع
وعشرين منه وجرى عليه جمع وفى بعض نسخ شرح مسلم كما فى
الفتاوى وفى أكثر النسخ من شرح مسلم انه كان فى ربيع الآخر
كما فى بعض نسخ الفتاوى وقيل كان فى ليلة سبع وعشرين من
رجب وجزم به النووى فى الروضة تبعا للرافعى وقيل كان فى رمضان
وقيل فى شوال وعين بعضهم اليوم الذى اسفرت عنه تلك الليلة بانه
يوم الاثنين وحاول موافقة كون المولد يوم الاثنين وكون المبعث
يوم الاثنين وكون المعراج يوم الاثنين وكون الهجرة يوم الاثنين
وكون الوفاة يوم الاثنين قال فان هذه اطوار الانتقالات النبوية
وجودا ونبوة ومعراجا وهجرة ووفاة فهذه خمسة اطوار فيكون

يوم الاثنين فى حقه صلى الله عليه وسلم كيوم الجمعة فى حق آدم عليه الصلاة والسلام فيه خلق وفيه أنزل الى الارض وفيه تاب الله تعالى عليه وفيه مات وكانت اطواره الوجودية والدينية خاصة بيوم واحد * وروى ابن أبى شيبة عن جابر وابن عباس رضى الله تعالى عنهم قالا ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وفيه بعث وفيه عرج الى السماء وفيه مات وقولهما وفيه عرج الى السماء اراد الليلة لان الاسراء كان بالليل اتفاقا وأما مولده صلى الله عليه وسلم فالصحيح انه كان نهارا كما قاله البدر الزركشى وقيل كان ليلا فعليه المراد أيضا الليلة كما تقدم * وأما مكانه فباعتبار البلد المشهور انه بمكة ومن قال بالمدينة فمحمول على التعدد فى المنام وباعتبار المكان الخاص فيؤخذ من الاحاديث أقوال ففى رواية انه كان عند البيت وفى الاخرى فى الحطيم وربما قال فى الحجر والمراد بالحطيم هنا الحجر كما قاله ابن حجر وفى رواية فرج سقف بيتى وأنا بمكة وفى رواية انه أسرى به من شعب أبى طالب وفى رواية انه كان فى بيت أم هانئ قال الحافظ ابن حجر والجمع بين هذه الاقوال انه كان فى بيت ام هانئ وبيتها عند شعب أبى طالب ففرج عن سقف بيته واضاف البيت اليه لانه كان يسكنه فنزل منه منزلة الملك واخرجه الى المسجد فكان به مضطجعا وبه اثر النعاس ثم اخرجه الى باب المسجد فاركبه البراق قال وقد وقع فى مرسل الحسن عند ابن اسحق فأتاه وأخرجه الى المسجد وهو يؤيد هذا الجمع اه وقال بعضهم ليس بين قوله بينا أنا فى المسجد وبين قوله فى بيتى أو فى بيت أم هانئ تناف لانه قد يكون المراد بالمسجد الحرام الحرم كله اه

(الوجه الثالث) هل وقع الاسراء لغيره صلى الله عليه وسلم من الانبياء عليهم الصلاة والسلام أو هو من خصوصياته صلى الله عليه وسلم أجاب العارف عبد العزيز المهدوى بان مرتبة الاسراء بالجسم الى تلك الحضرات العلية لم تكن لاحد من الانبياء الا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم انتهى وقد عده أيضا من خصائصه صلى الله عليه وسلم الحافظ الجلال السيوطى فى خصائصه الصغرى والكبرى *(الوجه الرابع)* قال ابن المنير كانت كرامته صلى الله عليه وسلم فى المناجاة على سبيل المفاجاة كما أشار اليه بقوله بينا أنا وفى حق موسى صلى الله عليه وسلم عن ميعاد واستعداد فحمل عنه صلى الله عليه وسلم ألم الانتظار ويؤخذ من ذلك ان مقام النبى صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى مقام موسى مقام المراد بالنسبة الى مقام المريد *وقال ابن دحية فى قوله فرج سقف بيتى يقال لم يدخل عليه من الباب مع قوله تعالى وائتوا البيوت من أبوابها فالحكمة فى ذلك المبالغة فى المفاجاة والتنبيه على ان الكرامة والاستدعاء كانا على غير ميعاد والاشارة الى ما سيقع من شق صدره والتئامه على الفور بلا معالجة فاراه الملك بافراجه عن السقف والتئامه على الفور كيفية ما يصنع به وقرب له الامر لطفا فى حقه وتثبيتا لصبره *وقال بعضهم الحكمة فى نزوله عليه من السقف التنبيه على ان المراد منه ان يعرج به الى جهة العلو *(الوجه الخامس)* الرجلان اللذان كان النبى صلى الله عليه وسلم نائما بينهما تلك الليلة حمزة وجعفر رضى الله تعالى عنهما قال ابن أبى جمرة وفى هذا دليل على تواضعه صلى الله عليه وسلم وحسن خلقه

اذ أنه فى الفضل حيث هو ومع ذلك كان يضطجع مع الناس ويقعد معهم ولم يجعل لنفسه الكريمة مزية عليهم وفيه دليل على جواز نوم جماعة فى موضع واحد لكن يشترط فى ذلك أن يكون لكل منهم ما يستر به جسده عن صاحبه * (الوجه السادس فيما وقع فى القصة من شق صدره الشريف) * وقد أنكر بعضهم وقوع ذلك ليلة الاسراء وقال انما كان ذلك وهو صغير فى بنى سعد قال الحافظ ابن حجر وغيره ولا انكار فى ذلك فقد تواترت به الاخبار ووقع له صلى الله عليه وسلم ذلك ثلاث مرات (الاولى) وهو صغير فى بنى سعد عند مرضعته حليمة (الثانية) عند البعثة (الثالثة) ليلة الاسراء ولكل من الثلاثة حكمة فالاولى التى كانت فى زمن الطفولية لينشأ على أكمل الاحوال من العصمة من الشيطان ولعل هذا الشق كان سببا فى اسلام قرينه المروى عند البزار من حديث ابن عباس * والثانية التى عند المبعث زيادة فى الكرامة ليتلقى ما يوحى اليه بقلب قوى فى اكمل الاحوال من التطهير والثالثة التى عند ارادة العروج الى السماء ليتأهب للمناجاة قال الحافظ المذكور ويحتمل ان تكون الحكمة فى هذا الغسل لتقع المبالغة فى الاسباغ بحصول المرة الثالثة كما فى شرعه صلى الله عليه وسلم فى الطهارة * قال بعضهم وهذه الحكمة من أعظم الحكم والطفها وأدقها وحقها ان تكتب بماء الذهب على صفحات القلوب لارتفاع محلها قال بعضهم قد سن الغسل لداخل الحرم الشريف فما ظنك بداخل الحضرة المقدسة فلما كان الحرم الشريف من عالم الملك وهو ظاهر الكائنات أنيط الغسل له بظاهر البدن فى عالم المعاملات ولما

كانت الحضرة الشريفة من عالم الملكوت وهو باطن الكائنات
أنيط الغسل بباطن البدن في التحقيقات وقد عرج به لتفرض
عليه الصلاة وليصلي بملائكة السموات ومن شأن الصلاة الطهور
فقدس ظاهرا وباطنا فهو صلى الله عليه وسلم وان كان الله تعالى
خلقه نورا منتقلا من الانبياء وفي صفاء النور ما يغني عن التطهير
الحسي لكن الغسلة الاولى لعلم اليقين والثانية لعين اليقين
والثالثة لحق اليقين * وقد ورد ان صدره صلى الله عليه وسلم شق
أيضا وهو ابن عشر سنين فتكون المرات أربعا وذكر بعضهم في
حكمة ذلك ان العشر لما كانت قريبا من سن التكليف شق صدره
عليه الصلاة والسلام وقدس حتى لا يلتبس بشيء مما يعاب على
الرجال * قال الحافظ ابن حجر وما ذكر من شق الصدر واستخراج القلب
مما يجب التسليم له ولا يصرف عن حقيقته لصلاحية القدرة فلا
يستحيل شيء من ذلك ويؤيده كما قال بعضهم الحديث الصحيح أنهم
كانوا يرون أثر المخيط في صدره صلى الله عليه وسلم * قال ابن المنير
وشق الصدر له صلى الله عليه وسلم وصبره عليه من جنس ما ابتلى به
الذبيح وصبره عليه بل هذا أشق وأجل لان تلك معاريض وهذه
حقيقة وأيضا فقد تكرر ووقع له وهو رضيع بعيد من أهله
صلى الله عليه وسلم * وقد اختلف هل كان شق الصدر وغسله
مخصوصا به أو وقع لغيره من الانبياء قال الحافظ ابن حجر في الفتح
وقد وقع عند الطبراني في قصة تابوت بني اسرائيل أنه كان فيه
الطست التي تغسل فيها قلوب الانبياء وهذا مشعر بالمشاركة انتهى
وصحح الحافظ الجلال السيوطي في خصائصه الصغرى عدم

المشاركة وانه من خصائصه صلى الله عليه وسلم وخالفه تلميذه العلامة محمد الشامى فقال الراجح المشاركة واستند لقصة تابوت بنى اسرائيل من طريق السدى الكبير كما رواه سعيد بن منصور وابن جرير بسند صحيح بزيادة على ما تقدم ثم قال ولم أر لعدم المشاركة ما يعتمد عليه بعد الفحص الشديد (قلت) لكن يمكن ان يقال وقوع شق الصدر له صلى الله عليه وسلم مع تكرره ثلاث مرات أو أربعا لم يشاركه أحد من الانبياء فيه ويحمل عليه كلام السيوطى وأما مطلق شق الصدر فوقعت فيه المشاركة لغيره من الانبياء وعليه يحمل كلام غيره ومستندما قلته ان تكرر شق الصدر له صلى الله عليه وسلم ثبت فى الاحاديث التى بعضها فى الصحيحين ووقوع شق الصدر لغيره انما أخذ من القصة المذكورة وليس فيها تعرض لتكرره هذا ما ظهر والله تعالى أعلم * واختلف هل وقع له ذلك مع مشقة أولا فقال الحافظ ابن حجر من غير مشقة وبه جزم ابن الجوزى فقال فشقه وما شق عليه وقال ابن دحية بمشقة عظيمة ولهذا انتقع لونه أى صار كلون النقع وهو الغبار وهذه صفة ألوان الموتى قال بعضهم رواية انتقع لونه حكاية لما وقع له فى المرة الاولى وهو صغير فى بنى سعد وفى حديث أبى هريرة فى المرة الثانية وهو ابن عشر ما يؤيد أنه لم يقع له مشقة بعد المرة الاولى * ووقع السؤال هل كان شق صدره صلى الله عليه وسلم بآلة قال بعض المحدثين لم أر من تعرض له بعد التتبع وظاهر قوله فشق انه كان بآلة *(الوجه السابع فى الحكمة فى اختصاص الاتيان بطست من ذهب)* أما الطست فلكونه أشهر آلات الغسل عرفا وأما كونه

من ذهب فلانه أعلى الاواني وأصفاها ولان فيه خواص ليست
في غيره منها انه من أواني الجنة وانه لاتأكله النار ولا التراب
ولا يصدأ وأنه أثقل الجواهر فناسب ثقل الوحي قال السهيلي وابن
دحية ان نظر الى لفظ الذهب ناسب من جهة اذهاب الرجس عنه
ولكونه وقع عند الذهاب الى ربه وان نظر الى معناه فلوضاءته ونقائه
وثقله والوحي ثقيل وأما تحريم استعماله فهو مخصوص بأحوال
الدنيا وذلك كان من أحوال الغيب فيلتحق بأمور الآخرة وقال
النووي ليس في هذا الخبر ما يوهم جواز استعمال اناء الذهب
والفضة لان هذا فعل الملائكة واستعمالهم وليس بلازم ان يكون
حكمهم كحكمنا ولانه كان قبل تحريم النبي صلى الله عليه وسلم
استعمال أواني الذهب والفضة اهـ أي لان التحريم انما وقع
في المدينة كما نبه عليه الحافظ ابن حجر وهذا أحسن من جوابه الاول
لانه تعقب بانه لا يكفي ان يقال ان المستعمل له ممن لم يحرم عليه ذلك
من الملائكة لانه لو كان حرم عليه استعماله لنزه ان يستعمله غيره
في أمر يتعلق ببدنه المكرم *(الوجه الثامن)* يؤخذ من غسل
قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم بماء زمزم انه أفضل من ماء الكوثر
لانه لم يكن يغسل قلبه الشريف الا بأفضل المياه قاله الامام البلقيني
وقال الامام ابن أبي جمرة انما لم يغسل بماء الجنة لما اجتمع في زمزم
من كون أصل مائها من الجنة ثم استقر في الارض فأريد بقاء بركته
صلى الله عليه وسلم في الارض اهـ وقيل لان ماء زمزم يقوي
القلب ويسكن الروع قال الحافظ الزين العراقي ولذلك غسل به
قلبه صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء ليقوى على رؤية الملكوت

٩

ومارآه فى تلك الليلة اه *(الوجه التاسع)* فى معنى ماورد فى القصة انه لما استخرج قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم فغسله ونزع ما كان فيه من أذى وفى بعض الروايات انه أخرج منه علقة سوداء وقال هذا حظ الشيطان منك * وقد سئل الامام التقى السبكى رحمه الله تعالى عن العلقة السوداء التى أخرجت من قلبه صلى الله عليه وسلم حين شق فؤاده وقول الملك هذا حظ الشيطان منك الخ ماهى فاجاب رحمه الله تعالى بان تلك العلقة خلقها الله تعالى فى قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها فازيلت من قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم فلم يبق فيه مكان لان يلقى الشيطان فيه شيأ هذا معنى الحديث ولم يكن للشيطان فيه حظ وأما الذى نفاه الملك هو فى الجبلات البشرية فازيل القابل الذى لم يكن يلزم من حصوله حصول القذف فى القلب قيل له فلم خلق الله تعالى هذا القابل فى هذه الذات الشريفة وكان يمكنه ان لا يخلقه تعالى فيه فقال انه من جملة الاجزاء الانسانية فخلقت تكملة للخلق الانسانى ولا بد منه ونزعه كرامة ربانية طرأت * وقال غيره لو خلق الله نبيه صلى الله عليه وسلم سليما منها لم يكن للآدميين اطلاع على حقيقته فاظهره الله تعالى على يد جبريل عليه الصلاة والسلام ليتحققوا كمال باطنه كما برز لهم مكمل الظاهر *(الوجه العاشر فى معنى كون الطست مملوأ

١٠

حكمة وايمانا وافراغه فى الصدر مع ان الايمان والحكمة من الاعراض وهى لا يوصف بها الا محلها الذى تقوم به ولا يجوز فيها الانتقال لانه من صفات الاجسام)* قال الامام النووى والحافظ ابن حجر المعنى جعل فى الطست شئ يحصل به زيادة فى كمال الايمان

وكمال

وكمال الحكمة وهذا المملوء يحتمل ان يكون على الحقيقة وتجسد المعانى جائز كما جاء ان سورة البقرة تجىء يوم القيامة كانها الظلة والموت يجىء فى صورة كبش وكذلك وزن الاعمال وغير ذلك * وقد اختلف فى تفسير الحكمة على أقوال كثيرة قال النووى والذى صفا لنا منها انها العلم المشتمل على معرفة الله تعالى مع نفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق للعمل به والكف عن ضده والحكيم من حاز ذلك وقوله فافرغه أى الطست الممتلئ حكمة وايمانا فى صدره المراد به القلب فسماه باسم ما هو فيه وهو الصدر * قال الشيخ ابو محمد بن أبى جمرة الحكمة فى شق صدره مع القدرة على ان يملئ قلبه ايمانا وحكمة من غير شق الزيادة فى قوة اليقين لانه أعطى برؤيه شق بطنه وعدم تأثره بذلك ما أمن معه من جميع المخاوف العادية فلذلك كان أشجع الناس حالا وما لا ولذلك وصف بقوله ما زاغ البصر وما طغى * (الوجه الحادى عشر فى الحكمة فى الختم بين كتفيه بخاتم النبوة مع بعض الكلام على الخاتم المذكور وقدره) * قال الامام السهيلى الحكمة فى وضع خاتم النبوة على جهة الاعتبار انه لما ملئ قلبه ايمانا ختم عليه كما يختم على الوعاء المملوء مسكا أو درا فجمع الله تعالى اجزاء النبوة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتممه وختم عليه بختمه فلم تجد نفسه ولا عدوه سبيلا اليه من أجل ذلك الختم لان الشئ المختوم محروس وكذلك تدبير الله تعالى لنا فى هذه الدار اذا وجد أحدنا الشئ بختمه زال الشك وانقطع الخصام فيما بين الآدميين فلذلك ختم رب العالمين فى قلبه ختما يطمئن له القلب الذى أتى النور فيه ونفذت قوة القلب فظهر بين كتفيه

كالبيضة * وقد اختلف فى موضع الخاتم من جسده فوقع فى بعض
الاحاديث انه بين كتفيه وفى صحيح مسلم انه عند نغض كتفه
اليسرى وفى رواية شاذة انه عند غضروف كتفه اليمنى والنغض
بنون تضم وتفتح فغين ساكنة فضاد معجمتين أعلى الكتف عند
الجمهور والغضروف بغين معجمة مضمومة فضاد ساكنة معجمة
فراء ففاء رأس لوح الكتف ووقع فى حديث شداد بن أوس
فى مغازى ابن عائذ فى قصة شق صدره وهو فى بلاد بنى سعد بن بكر
وأقبل وفى يده خاتم له شعاع فوضعه بين كتفيه وثدييه قال الحافظ
ابن حجر وهذا قد يؤخذ منه ان الختم وقع له فى الموضعين من جسده
والعلم عند الله تعالى ومقتضى الاحاديث التى فيها شق الصدر ووضع
الخاتم انه لم يكن موجودا حين ولادته وانما كان أول وضعه لما شق
صدره عند حليمة خلافا لمن قال ولد به أو حين وضع * قال السهيلى
والحكمة فى كون الخاتم عند نغض كتفه أنه معصوم من وسوسة
الشيطان وذلك الموضع منه يدخل الشيطان يوسوس أى لان القلب
من تلك الجهة * وقد اختلف فى صفة خاتم النبوة على أقوال كثيرة
نحو العشرين قولا متقاربة المعنى ففى رواية انه مثل زر الحجلة والزر
واحد الازرار والحجلة واحد الحجال وهى بيت كالقبة له ازرار كبار
وعرا كالبشخانة هذا هو الاشهر فى تفسير ذلك وفى رواية انه كجمع
بضم الجيم واسكان الميم أى كجمع الكف وهو صورته بعد أن تجمع
الاصابع وتضمها وفى رواية انه كبيضة الحمامة وفى أخرى انه شعر
مجتمع قال بعض العلماء اختلف أقوال الرواة فى خاتم النبوة وليس
ذلك باختلاف بل كل شبه بما سنح له وكلها ألفاظ مؤداها واحد

وهو

وهو قطعة لحم فمن قال شعر فلأن الشعر حوله متراكم عليه كما في الرواية الاخرى انه شامة سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات متراكمات كأنها عرف الفرس وقال القرطبي دلت الاحاديث الثابتة على ان خاتم النبوة كان شيأ بارزا أحمر عند كتفه الايسر اذا قلل قدر بيضة الحمامة واذا كثر جمع اليد وذكر نحوه القاضي عياض وزاد وأما رواية جمع الكف فظاهرها المخالفة فتؤول على وفق الروايات الكثيرة ويكون معناه على هيئة جمع الكف لكنه أصغر منه في قدر بيضة الحمامة وأخرج الحاكم في المستدرك عن وهب ابن منبه قال لم يبعث الله نبيا الا وقد كان عليه شامات النبوة في يده اليمنى الا ان يكون نبينا صلى الله عليه وسلم فان شامة النبوة كانت بين كتفيه قال في المواهب وعلى هذا فيكون وضع الخاتم بين كتفيه بازاء قلبه مما اختص به عن سائر الانبياء والله أعلم * وذكر الحافظ مغلطاى في الزهد أن الحاكم روى في تاريخه عن عائشة انها لمست الخاتم حين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قد رفع اه والحكمة في رفعه عند موته صلى الله عليه وسلم مع ان النبوة والرسالة باقيتان بعد موته حقيقة لحياته في قبره كسائر الانبياء لانه لما وضع لحكمة وهي تمام الحفظ والعصمة من الشيطان وقد تم الامن منه بالموت فلم يبق لبقائه في جسده فائدة * (الوجه الثاني عشر في الكلام على البراق وفي الحكمة في ركوبه صلى الله عليه وسلم وفي حكمة استصعابه عند ارادة الركوب عليه) * فالبراق بضم الموحدة وتخفيف الراء مشتق من البريق فقد جاء في لونه انه أبيض أو من البرق لوصفه بسرعة السير أو من قولهم شاة برقاء اذا

١٢

كان فى خلال صوفها الابيض طاقات سود ولا ينافيه وصفه فى الحديث بالبياض لان البرقاء من الغنم معدودة فى البيض ويجوز أن يجمع بين المعنيين فيسمى براقا للونه ولسرعة سيره ويحتمل ان لا يكون مشتقا * وقد ورد فى صفته أقوال أمثلها ماذكر فى القصة عن ابن عباس والسر فى كون جناحيه فى فخذيه ثقل مؤخر الدابة أولان ذلك جار على هذا الامر فى خرق العادة أولاجل الراكب لانهما لو كانا فى جنبيه على العادة لكانا تحت فخذى الراكب أو فوقهما ويحصل له مشقة بضمهما ونشرهما خصوصا مع السرعة العظيمة وفى بعض الآثار أن البراق ليس بذكر ولا أنثى فاقتضى ذلك ان يكون منفردا بالخلق بهذه الصفة من غير توليد لانه خارج عن قوله تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين لكن نقل الشيخ سعد الدين التفتازانى ان الملائكة الكرام لاذكور ولاانات الى آخر ماذكره وفى أثر آخر ان جبريل خاطبه خطاب المؤنث * قال ابن أبى جمرة ما ملخصه وانما كان ركوب النبى صلى الله عليه وسلم على البراق والقدرة صالحة لأن يصعد بنفسه من غير براق لكن كان فى البراق بشارة له فى تشريفه لانه لو صعد بنفسه لكان فى صورة ماش والراكب خلاف الماشى قال ابن دحية ما ملخصه أيضا ولعل السر فى الاسراء بالبراق اظهار الكرامة العرفية فان الملك العظيم اذا استدعى وليا له وخصيصا به وأشخصه اليه بعث اليه بمركوب سنى يحمله عليه فى وفادته اليه ولم يكن البراق بشكل الفرس ولكنه بشكل البغل للاشارة الى أن الركوب فى سلم وأمن لافى حرب وخوف أولاظهار المعجزة فى الاسراع العجيب من دابة مايوصف شكلها بالاسراع

الشديد

الشديدعادة (فان قيل) هيلا كان الاسراء على أجنحة الملائكة أو الريح كما كانت تحمل سليمان عليه الصلاة والسلام أو الخطوة كطى الزمان (قلت) المراد اطلاعه على الآيات الخارقة للعادة ومايتضمن أمرا عجيبا ولا عجب فى حمل الملائكة أو الريح بالنسبة الى قطع هذه المسافة بخلاف قطعها على دابة فى هذا الجرم المحكى عن صفتها او وقع من تعظيمه بالملائكة ماهو أعظم من حمله على أجنحتها فقط فقدأخذ جبريل بركابه وميكائيل بزمام البراق وهمامن أكابر الملائكة فاجتمع له صلى الله عليه وسلم حمل البراق وماهو كحمل البراق من الملائكة وهذا أتم فى الشرف قاله فى فتح الصفاء * وقد اختلف فى حكمة استصعاب البراق فقال ابن بطال انما استصعب عليه لبعده بركوب الانبياء قبله ويؤيده ماورد فى بعض طرق القصة فاستصعب البراق وكانت الانبياء تركبها قبلى وكانت بعيدة العهد بركوبهم ولم تكن ركبت فى الفترة وقال بعض المتأخرين ولايبعد ان يقال انما كان استصعابه فرقا من هيبة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال الامام العينى فى شرح البخارى وسمع العبد الضعيف من بعض مشايخه الثقات انه انما شمس لبعد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالركوب عليه يوم القيامة فلما وعد له ذلك قر وذلك لانه جاء فى التفسير فى قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى ان الله تعالى أعد له فى الجنة أربعين ألف براق ترعى فى مروج الجنة انتهى * وروى ابن زنجويه فى فضائل الاعمال عن كثير بن مرة الحضرمى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعث ناقة ثمود لصالح فيركبها من عند قبره حتى يوافى بها المحشر وأناعلى البراق

اختصصت به من دون الانبياء يوم مذ و يبعث بلال على ناقة من نوق الجنة ينادى عليها بالاذان حقا فاذا سمعت الانبياء وأممها أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله قالوا ونحن نشهد على ذلك * وقال ابن دحية وابن المنير انما استصعب تيها وزهوا بركوب النبي صلى الله عليه وسلم وأراد بقوله أبمحمد تستصعب استنطاقه بلسان الحال وانه لم يقصد الصعوبة وانما تاه لمكان النبي صلى الله عليه وسلم منه ولهذا قال ارفض عرقا فكأنه أجابه بلسان الحال متبرئا من الاستصعاب وعرق من خجل العتاب وذلك قريب من رجفة الجبل به حتى قال له اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيد فهى هزة طرب لا هزة غضب ولم يسم الله سبحانه وتعالى سير البراق برسول الله صلى الله عليه وسلم طيرانا وانما سماه بما يسمى به السير المعتاد وسير الليل عند العرب يسمى اسراء فيؤخذ من هذا ان الولى اذا طويت له الارض البعيدة فى الساعة الواحدة يتناوله اسم المسافر ويشمله أحكام السفر باعتبار القصر والفطر وانما لم يذكر البراق فى الرجوع لان ذلك معلوم بذكره فى الصعود كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر يعنى والبرد ويؤخذ مما ذكر فى القصة وهنا من أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام ركبوا البراق ان ركوبه ليس من خصائصه صلى الله عليه وسلم نعم قيل ركوبه مسرجا ملجما لم يرد لغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام * (الوجه الثالث عشر فى قوله فى القصة وتكلم أربعة وهم صغار) * فذكر ابن الماشطة وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم وقد تكلم فى المهد جماعة غيرهم وصلوا بالاربعة المذكورين الى عشرة * ففى الصحيحين

١٢

من

من حديث أبي هريرة مرفوعا لم يتكلم في المهد الا ثلاثة فذكر عيسى وصاحب جريج وابن المرأة التي مر عليها بامرأة يقال لها زنت وفي صحيح مسلم في قصة أصحاب الاخدود ان امرأة جيء بها لتلقى في النار لتكفر ومعها صبي يرضع فتقاعست فقال يا أمه اصبري فانك على الحق وفي رواية عند ابن قتيبة انه كان ابن سبعة أشهر * وروى الثعلبي عن الضحاك ان يحيى بن زكريا تكلم في المهد * وذكر البغوي في تفسيره ان ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم تكلم في المهد * وفي سير الواقدي ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم تكلم في أوائل ما ولد وقد تكلم في زمنه مبارك اليمامة وهو طفل كما في الدلائل للبيهقي فهؤلاء عشرة وأما قوله صلى الله عليه وسلم المروي في الصحيحين كما تقدم لم يتكلم في المهد الا ثلاثة الى آخره فقال الزركشي أي من بني اسرائيل وقال غيره قاله قبل ان يعلم الزيادة وقد نظم أسماء المتكلمين في المهد العشرة الحافظ الجلال السيوطي رحمه الله تعالى فقال

تكلم في المهد النبي محمد * ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبرى جريج ثم شاهد يوسف * وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالامة التي * يقال لها تزني ولا تتكلم
وماشطة في عهد فرعون طفلها * وفي زمن الهادي المبارك يختم

(الوجه الرابع عشر) ذكر في القصة نزوله صلى الله عليه وسلم عن البراق وصلاته بعدة مواضع وقال حذيفة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزايل ظهر البراق هو وجبريل حتى انتهيا الى بيت المقدس قال الحافظ ابن حجر وهذا لم يسنده حذيفة الى النبي صلى الله عليه

وسلم فيحتمل انه قاله عن اجتهاد قال بعضهم ويدل على ذلك
انكاره ربط البراق والصلاة فى بيت المقدس مع ورود الاحاديث
الصحيحة عن جماعة من الصحابة بوقوع ذلك وظاهر قول حذيفة لم
يزايل هو وجبريل ظهر البراق ان جبريل كان راكب البراق مع
النبى صلى الله عليه وسلم وقد اختلف فى ذلك وأجاب بعضهم عن قول
حذيفة بأنه يحتمل ان يكون قوله هو وجبريل متعلق بمرافقته فى
السير لا فى الركوب وقال ابن دحية معناه وجبريل قائدا وسائق
أودليل قال وانما جزمنا بذلك لان قصة المعراج كانت كرامة للنبى
صلى الله عليه وسلم فلا مدخل لغيره فيها وقد تعقب الحافظ ابن حجر
التأويل المذكور بأن فى صحيح ابن حبان من حديث ابن مسعود ان
جبريل حمله على البراق رديفا له وفى رواية الحرث فى مسنده أتى
بالبراق فركبه خلف جبريل فسار بهما وهذا وما قبله صريح
فى ركوبه معه وانه كان خلف جبريل رديفا له لكن فى حديث ابن
أبى ليلى الذى رواه الطبرانى ان جبريل أتى النبى صلى الله عليه وسلم
بالبراق فحمله بين يديه والله أعلم وأما ما تقدم من انكار حذيفة
رضى الله تعالى عنه ربط البراق فروى الامام أحمد والترمذى عنه
انه لما قيل له اربط البراق فقال أخاف ان يفر منه وقد سخره له عالم
الغيب والشهادة قال البيهقى والسهيلى والمثبت مقدم على النافى
يعنى من أثبت ربط البراق فى بيت المقدس معه زيادة علم على من نفى
فهو أولى بالقبول وقال الامام النووى وفى ربط البراق الأخذ
بالاحتياط فى الامور وتعاطى الاسباب وان ذلك لا يقدح فى التوكل
اذا كان الاعتماد على الله سبحانه وتعالى وقال السهيلى فى هذا

من

من الفقه التنبيه على الاخذ بالحزم مع صحة التوكل وان الايمان
بالقدر كما روى عن وهب بن منبه لا يمنع الحزم من توقى المهالك
قال وهب وجدته فى سبعين كتابا من كتب الله تعالى القديمة وهذا نحو
قوله صلى الله عليه وسلم اعقلها وتوكل فايمانه صلى الله عليه وسلم
وعلمه بانه قد سخر له كايمانه بقدر الله تعالى وعلمه بانه قد سبق فى أم
الكتاب ما سبق ومع ذلك كان يتزود فى أسفاره ويعد السلاح
فى حروبه حتى لقد ظاهر بين درعين فى غزوة أحد وربط البراق من
هذا الفن وقوله ان جبريل أتى الصخرة فوضع اصبعه فيها فخرقها
وشد بها البراق قال الطيبى فى شرح المشكاة فان قلت كيف الجمع
بين هذا وبين قوله فى حديث أنس فربطته بالحلقة التى كانت تربط
بها الانبياء قلت المراد من الحلقة الموضع الذى كان فيه الحلقة وقد
استد خرقه جبريل عليه الصلاة والسلام باصبعه انتهى وهذا
الجمع لا يصح لان الحلقة وموضعها االباب والذى خرقه جبريل
باصبعه انما هو الصخرة وهى داخلة فى المسجد بعيدة عن الباب
والاولى ما قاله بعضهم فى الجمع انه صلى الله عليه وسلم ربطه أولا
بالحلقة تأدبا واتباعا للانبياء فأخذه جبريل وحله من الحلقة وخرق
الصخرة وشده بها كانه يقول أنت لست ممن يكون مركوبه بالباب
بل أنت أعلى واغلى فلا يكون مركوبك الا فى داخل المحل وهذا أمر
مشاهد فى العادة بين الكبراء *(الوجه الخامس عشر فى صلاته
صلى الله عليه وسلم بالانبياء عليهم الصلاة والسلام بيت المقدس)*
تظافرت الروايات انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء فى بيت
المقدس قبل العروج وهو أحد احتمالين للقاضى عياض وقال

١٥

الحافظ ابن حجر انه الاظهر والاحتمال الثانى انه صلى الله عليه وسلم
صلى بهم بعد أن هبط من السماء فهبطوا أيضا وصححه الحافظ ابن
كثير وقال بعضهم وما المانع من انه صلى الله عليه وسلم صلى
بهم مرتين فان بعض الاحاديث ذكر الصلاة بهم بعد ذكر المعراج
وهذه الصلاة التى صلاها النبى صلى الله عليه وسلم بالانبياء صلى الله
عليهم وسلم الصواب انها الصلاة المعروفة ذات الركوع والسجود
لان النص يحمل على حقيقته الشرعية قبل اللغوية الا اذا تعذر
حمله على الشرعية ولم يتعذر هنا فوجب حمله على الشرعية ويؤيده
مافى القصة فأخذ جبريل بيده فقدمه فصلى بهم ركعتين والظاهر
انها كانت فريضة وأيده بعضهم بقوله فى بعض طرق القصة ثم أقيمت
الصلاة فأمهم وفى رواية فأذن جبريل والاذان والاقامة يؤذنان
بأنها فريضة ولا يشكل على هذا ان بدء الاذان انما كان بعد الهجرة
لانه لا مانع من وقوعه ليلة الاسراء قبل مشروعيته للصلوات الخمس
وعلى كونها فريضة قال بعضهم كانت الصلاة التى صلاها العشاء
وقال بعضهم انها الصبح قال بعض المتأخرين وليس بشئ سواء قلنا
صلى بهم قبل العروج أو بعده لان أول صلاة صلاها النبى صلى
الله عليه وسلم من الخمس مطلقا الظهر بمكة بالاتفاق ومن حمل الاولية
على مكة فعليه الدليل والذى يظهر والله تعالى أعلم انها كانت من
النفل المطلق أو كانت من الصلاة المفروضة عليه قبل ليلة الاسراء
وفى فتاوى النووى مايؤيد الثانى وهل قرأ فيها بأم القرآن لمقتضى
قوله صلى الله عليه وسلم لا تجزى صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن أو كان
ذلك قبل مشروعية هذا الحكم محل نظر وقال بعضهم لم يرد فى تعيين

القراءة

القراءة فى تلك الصلاة فيما وقفت عليه خبر صحيح أو حسن نعتمد
وفوق كل ذى علم عليم انتهى قال بعضهم ورؤيته صلى الله عليه وسلم
للانبياء وصلاته بهم فى بيت المقدس يحتمل انها كانت للارواح خاصة
وانها تشكلت بصور أجسادها فى علم الله تعالى ويؤيده ما فى حديث
أبى هريرة رضى الله عنه عند الحاكم والبيهقى فلقى أرواح الانبياء
ويحتمل الاجساد بالارواح ويؤيده حديث عبد الرحمن بن هاشم
عن أنس عند البيهقى وبعث الله آدم فمن دونه من الانبياء وعند البزار
والطبرانى فنشر لى الانبياء من سمى الله تعالى ومن لم يسم فصليت بهم
وأما رؤيته لهم فى السماء فمحمولة على رؤية أرواحهم وانها
تشكلت بصور أجسادهم الا عيسى صلى الله عليه وسلم لما صح
انه رفع بجسده وكذلك ادريس أيضا أو أحضرت أجسادهم لملاقاته
صلى الله عليه وسلم تشريفا له وتكريما وقد أنكر حذيفة بن
اليمان رضى الله تعالى عنه صلاة النبى صلى الله عليه وسلم ببيت
المقدس تلك الليلة واحتج بأنه لو صلى فيه لكتبت عليكم الصلاة فيه
قال البيهقى وابن كثير والمثبت مقدم على النافى يعنى من أثبت
الصلاة ببيت المقدس وهم الجمهور من الصحابة معهم زيادة علم
على من نفى ذلك فهو أولى بالقبول وأما ما احتج به فيجاب عنه بمنع
الملازمة بين الصلاة والكتابة ان كان أراد بقوله كتبت عليكم
الفرض وان أراد التشريع فنلتزمه وقد شرع النبى صلى الله عليه
وسلم الصلاة ببيت المقدس فقرنه بالمسجد الحرام ومسجده فى شد
الرحال وذكر فضيلة الصلاة فيه فى غير ما حديث فان قلت كيف
تصلى الانبياء وهم أموات وليسوا فى دار عمل أجيب بأنهم

كالشهداء بل أفضل منهم أحياء فى قبورهم فيصلون ويحجون كما ورد فى الحديث الآخر فلا يستبعد ان يتقربوا الى الله تعالى بما استطاعوا والان البرزخ ينسحب عليه حكم الدنيا فى استكثارهم فيه من الاعمال وزيادة الاجور وان المنقطع عنهم بالموت هو التكليف وقد تحصل الاعمال من غير تكليف على سبيل التلذذ بها والخضوع لله تعالى كما جاء فى الحديث ان أهل الجنة يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس وهو معنى قوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وكما ورد انه يقال للقارئ اقرا وارق وانظر الى سجود النبى صلى الله عليه وسلم وقت الشفاعة أليس ذلك عبادة وعملا وعلى كل حال لا يمتنع حصول هذه الاعمال فى مدة البرزخ لان الانبياء لم يقبضوا حتى يخيروا بين البقاء فى الدنيا وبين الآخرة فاختاروا الآخرة ولا شك انهم لو بقوا فى الدنيا لازدادوا من الاعمال الصالحة فلو كان انتقالهم من هذه الدار يفوّت عليهم زيادة فيما يقرب الى الله تعالى لما اختاروه والله أعلم *(الوجه السادس عشر فى تقديم الآنية هل كان قبل العروج أو بعده وفى عددها)* فأكثر الروايات انه كان قبله وفى بعضها انه بعده ففى رواية بعد ذكر رؤيته ابراهيم فى السماء السابعة ثم انطلقنا فاذا نحن بثلاثة آنية مغطاة وفى رواية كان ذلك بعد أن رفعت له سدرة المنتهى وفى رواية كان ذلك بعد رؤيته للبيت المعمور قال ابن كثير وغيره ولعلها قدمت له مرتين لانها ضيافة له صلى الله عليه وسلم وتبعهم على ذلك الحافظ ابن حجر جمعا بين الروايات قال ابن كثير وابن حجر وأما الاختلاف فى عدد الآنية وما فيها فيحمل على ان بعض

الرواة

الرواة ذكر ما لم يذكره الآخر ومجموعها أربعة آنية فيها أربعة أشياء من الانهار الاربعة التي تخرج من أصل سدرة المنتهى واذا قلنا بعرض الآنية مرتين ففائدة عرض الخمر مع اعراضه عنه فى المرة الاولى وتصويب جبريل له تكرير التصويب والتحذير مما سواه وهل كانت الخمر من خمر الجنة أو من جنس خمر الدنيا فان كان الاول فسبب تجنبها صورتها ومضاهاتها للخمرة المحرمة أى فى علم الله تعالى أى حالا أو مآلا ويكون ذلك أبلغ فى الورع وأدق وان كان الثانى فاجتنابها اوضح لكن الخمرة كانت اذ ذاك مباحة لانها انما حرمت بالمدينة والاسراء كان بمكة فوجه تعيينه صلى الله عليه وسلم للبن دون غيره من الاشياء المباحة التى قدمت له وعد ذلك صوابا وعد الآخر خطأ مع انهما سواء فى الاباحة أن يكون فعل ذلك تورعا وتعريضا بانها ستحرم وانه لما فوض الامر الى اجتهاده صلى الله عليه وسلم وسداد نظره المعصوم اداه اجتهاده الى تحريم الخمر وتحليل اللبن فوافق الصواب فى علم الله تعالى فلذلك قال له جبريل أصبت الفطرة أى اخترت اللبن الذى عليه نبتت الخلقة وبه نبت اللحم واشتد العظم أو اخترته لانه الحلال الدائم فى دين الاسلام بخلاف الخمر فحرام فيما يستقر عليه الامر وقال النووى المراد بالفطرة هنا الاسلام والاستقامة قال ومعناه والله أعلم اخترت علامة الاسلام والاستقامة قال وجعل اللبن علامة لكونه سهلا طيبا طاهرا سائغا للشاربين سليم العاقبة وأما الخمر فانها أم الخبائث وجالبة لانواع الشر فى الحال والمآل انتهى وقال القرطبى يحتمل أن يكون سبب تسمية اللبن فطرة لكونه أول شئ يدخل جوف المولود ويشق امعاءه

والسر في ميل النبي صلى الله عليه وسلم اليه دون غيره لكونه مألوفاله
أولا انتهى ويستفاد من التعليل المتقدم في سبب تجنبه صلى الله
عليه وسلم الخمر وهو مضاهاتها للخمر المحرمة ان من أدار شيأ من
الاشربة كما تدار الخمر وهيأه بالهيآت التي تتعاطاها أهل
الشهوات من الاجقاعات والآلات فقد أتى منكرا وحرم ذلك عليه
وان كان لا يحدبه وقد ذكر أصحابنا أن ادارة كأس الماء على شاربيه
تشبيها بشاربي الخمر حرام يعزر فاعله *(الوجه السابع عشر)* ظاهر
قوله في القصة ثم أتى بالمعراج ان العروج كان لا على البراق وفي ذلك
خلاف قال الحافظ ابن كثير انه لما فرغ صلى الله عليه وسلم من أمر
بيت المقدس نصب له المعراج وهو السلم فصعد فيه الى السماء
ولم يكن الصعود فيه على البراق كما قد يتوهمه بعض الناس بل كان
البراق مربوطا على باب مسجد بيت المقدس ليرجع عليه الى مكة
وقال الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى انه هو الصحيح الذي تقرر
من الاحاديث الصحيحة انتهى *(تنبيه)* اعلم انه قد وردان بين
الدرجة والدرجة في الجنة خمسمائة عام وان الدرجة تهبط
كالابل ليصعد عليها ولي الله تعالى ثم ترتفع به الى مكانها والظاهر
كما قاله بعضهم ان درج المعراج كذلك والله أعلم وأما الحكمة
في الاسراء به صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس أولا قبل العروج
به الى السماء فقد تقدم الكلام عليها عند الكلام على الآية
آنفا *(الوجه الثامن عشر)* قال ابن المنير ذكر ابن حبيب ان بين
السماء والارض بحرا يسمى المكفوف تكون بحار الدنيا بالنسبة
اليه كالقطرة في البحر المحيط فعلى هذا يكون ذلك البحر انفلق

تنبيها

لنبينا صلى الله عليه وسلم تلك الليلة حتى جاوزه فهو أعظم من انفلاق البحر لموسى صلى الله عليه وسلم *(الوجه التاسع عشر فى قدر ما بين السماء والارض)* روى الامام أحمد وابن خزيمة فى صحيحه وغيرهما عن العباس رضى الله تعالى عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتدرون كم بين السماء والارض قلنا الله ورسوله أعلم قال بينهما خمسمائة سنة وبين كل سماء الى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكثف كل سماء خمسمائة سنة وفوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهن واظلافهن كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك العرش ثم الله تعالى فوق ذلك أى سلطانه وملكه وعظمته * وروى الطبرانى فى الاوسط وابن راهويه وغيرهما عن الربيع بن أنس قال السماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديد والرابعة نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء زاد ابن أبى حاتم وما فوق ذلك صحارى من نور ولا يعلم ما فوق ذلك الا الله سبحانه وتعالى وملك موكل بالحجب يقال له ميطاطروس * وروى أبو الشيخ وابن أبى حاتم عن كعب قال السماء الدنيا أشد بياضا من اللبن واخضرت من خضرة جبل قاف وقوله فى الحديث المتقدم من موج مكفوف الموج ما ارتفع من فوران الماء والمكفوف المحبوس *(الوجه العشرون)* استفتاح جبريل أبواب السماء الاشبه كما قاله الحافظ ابن حجر انه كان بقرع لان صوته معروف ويؤيده كما قاله بعضهم ما فى بعض الروايات فقرع الباب وقال ابن دحية

فى استفتاح جبريل لابواب السماء دليل على انه صادف أبوابها مغلقة وانما لم تهيأ للنبى صلى الله عليه وسلم بالفتح قبل مجيئه وان كان أبلغ فى الاكرام لانه لو رآها مفتحة لظن انها لاتزال كذلك ففعل ذلك ليعلم ان ذلك فعل من أجله تشريفا له ولان الله تعالى أراد ان يطلعه على كونه معروفا عند أهل السموات ولذلك لما سألوا جبريل عمن معه فقال محمد فقالوا أبعث اليه ولم يقولوا ومن محمد مثلا ولما قيل لامين الوحى بعد القرع من هذا قال جبريل فسمى نفسه لانه كان معروفا عندهم ولم يرد أن أحدا من الملائكة يسمى جبريل غيره ولم يقل أنا لئلا يلتبس بغيره ولان فيها اشعارا بالعظمة وفى الكلام السائر أول من قال أنا ابليس فشقى حيث قال أنا خير منه وقالها فرعون فتعس حيث قال أنا ربكم الاعلى ولان أنا مبهمة لافتقار الضمير الى العود فهى غير كافية فى البيان والمستأذن محجوب عن المستأذن عليه غير متعين عنده فكأنه أحاله على جهالة وعلى هذا فينبغى للمستأذن اذا قيل له من أنت لا يقول أنا بل يقول فلان لان النبى صلى الله عليه وسلم أنكر على الذى استأذن عليه فقال من هذا فجعل يقول أنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم أنا أنا انكارا لذلك ولما سمى جبريل نفسه لهم فتحوا باب السماء ولم يتوقفوا فى المراجعة فى أمره فانه معهود عندهم نزوله وصعوده ولذلك قدم نفسه لانه الرسول لاحضاره صلى الله عليه وسلم

(الوجه الحادى والعشرون) قول الخازن لجبريل من معك يشعر بانهم أحسوا معه برفيق والا لكان السؤال أمعك أحد وذلك الاحساس اما بمشاهدة لكون السماء شفافة واما بامر

معنوى

٢١

معنوى بزيادة النور وفى قول جبريل حين سئل عمن معه فقال محمد
دليل على ان الاسم أرفع من الكنية لانه أخبر باسمه ولم يخبر
بكنيته وهو صلى الله عليه وسلم مشهور فى العالمين العلوى
والسفلى فلو كانت الكنية أرفع من الاسم لاخبر بكنيته وقول
الخازن وقد بعث اليه أراد الاستفهام فحذف الهمزة للعلم بها أى
أوقد بعث اليه قال العلماء ليس هذا استفهاما عن أصل البعث
الذى هو الرسالة لانه كان مشهورا فى الملكوت الاعلى بل البعث
للمعراج وقيل بل سألوا تعجبا من نعمة الله تعالى عليه بذلك
واستبشارا به وقد علموا ان بشرا لا يرتقى هذا الترقى الا باذن الله
تعالى وان جبريل لا يصعد بمن لا يرسل اليه * وقال ابن أبى جمرة
استفهام الملائكة بقولهم وقد أرسل اليه فيه دليل على ان أهل
العالم العلوى يعرفون رسالته ومكانته لانهم سألوا عن وقتها اهل
حل لا عنها ولذلك أجابوا بقولهم مرحبا ولنعم المجئ جاء فكلامهم
بهذه الصيغة أدل دليل على ماذكرناه من معرفتهم بجلال مكانته
وتحقيق رسالته لان هذا أجل ما يكون من جنس الخطاب
والترفيع على المعروف من عادة العرب وقد قال بعض العلماء فى
معنى قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى انه رأى صورة ذاته
المباركة فى الملكوت فاذا هو عروس المملكة * وانما أتى الخازن
بصيغة الغيبة فى قوله مرحبا به ولم يخاطبه بقوله مرحبا بك لان ذلك
كان قبل ان يفتح الباب وقبل ان يصدر من النبى صلى الله عليه وسلم
كلام معه وخطاب والكلام انما كان مع جبريل
بالسؤال والجواب فارتفع حكم الغيبة بالتخاطب من الجانبين

ويجوز ان يكون الخازن انما حياه بغير صيغة الخطاب تعظيما له لان هاء الغيبة ربما كانت أفخم من كاف الخطاب وفى قول الخازن مرحبابه الخ دليل على ان الحاشية اذا فهموا من سيدهم عزا واكراما لوافدان يبشروه بذلك وان لم يأذن لهم فيه ولا يكون فى ذلك افشاء للسر بل هو من تعجيل البشر *(الوجه الثانى والعشرون فى الكلام على لقيه لآدم صلى الله عليه وسلم فى السماء الدنيا وما وقع له معه وما رآه عنده)* ففى سلامه على آدم دليل على ان السنة ان القادم يبدأ بالسلام على المقيم والمار على القاعد لانه صلى الله عليه وسلم كان مارا على آدم عليه الصلاة والسلام وفى رد آدم السلام عليه وقوله مرحبا دليل على انه لا يشرع فى رد السلام غير الصيغة المعروفة لانه لم يقل له مرحبا الا بعد رد السلام عليه على ما جاء فى القصة فرد عليه السلام ثم قال له مرحبا وظاهر ما فى القصة انه سأل عنه بعد ان قال له آدم مرحبا ورواية مالك بن صعصعة بعكس ذلك وهى المعتمدة فتحمل هذه عليها وليس فى رواية أبى ذر ترتيب * وفى قول آدم مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح اشارة الى افتخاره بابوة النبى صلى الله عليه وسلم وفى قوله بالابن الصالح والنبى الصالح ثناء جميل للنبى صلى الله عليه وسلم ووصفه بالصلاح مكررا مع النبوة أى الصالح فى المعنيين جميعا وفيه تنويه بفضيلة الصلاح ولهذا وصف به النبى صلى الله عليه وسلم واقتصر الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم الذين اجتمع بهم ورآهم فى السموات تلك الليلة على وصفه صلى الله عليه وسلم بالصلاح وتواردوا عليه وكرره كل منهم عند وصفه بالبنوة أو الاخوة والنبوة لان الصلاح يشمل خلال

الخير والصالح هو الذي يقوم بما يلزمه من حقوق الله تعالى وحقوق العباد ومن ثم كانت كلمة جامعة شاملة لسائر الخصال المحمودة ولذا لم يقل أحدهم مرحبا بالنبي الصادق ولا بالنبي الامين * قال بعضهم وصلاح الانبياء صلاح خاص لا يتناول عموم الصالحين واحتج على ذلك بانه قد تمنى بعض الانبياء أن يلحق بالصالحين ولا يتمنى الاعلى الالحاق بالادنى ولا خلاف ان النبوة أعلى من صلاح الصالحين من الامم فهذا يحقق ان الصلاح المضاف الى الانبياء غير الصلاح المضاف الى الامم وصلاح الانبياء صلاح كامل لانهم يزول بهم كل فساد فلهم كمال الصلاح ومن دونهم الامثل فالامثل فكل واحد يستحق اسم الصلاح على قدر ما زال به أو منه من الفساد * وظاهر قوله فى آدم تعرض عليه أرواح ذريته الخ ان أرواح بنى آدم من أهل الجنة أو النار فى السماء قال القاضى وهو مشكل فقد جاء ان أرواح المؤمنين منعمة فى الجنة وان أرواح الكفار فى سجين فكيف تكون مجتمعة فى السماء وأجاب بانه يحتمل انها تعرض على آدم أوقاتا فصادفت وقت عرضها مرور النبى صلى الله عليه وسلم و يدل على أن كونهم فى الجنة أو النار انما هو فى أوقات دون أوقات قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا * واعترض على هذا الجواب بان أرواح الكفار لا تفتح لها أبواب السماء كما هو نص القرآن وأجيب عنه بما أبداه القاضى احتمالا بان الجنة كانت فى جهة يمين آدم والنار فى جهة شماله وكان يكشف له عنهما قال الحافظ ابن حجر ويحتمل ان النسم المرئية هى التى لم تدخل الاجساد بعد وهى مخلوقة قبل الاجساد ومستقرها عن يمين آدم وشماله وقد أعلم بما سيصيرون اليه فلذلك

كان يستبشر اذا نظر الى من عن يمينه ويحزن اذا نظر الى من عن شماله
بخلاف التى فى الاجساد فليست مرادة قطعا وبخلاف التى نقلت
من الاجساد الى مستقرها من الجنة أو النار فليست مرادة أيضا فيما
يظهر وبهذا يندفع الايراد ويعرف ان قوله نسم بنيه عام مخصوص
أو عام أريد به الخصوص * قال وظهر احتمال آخر وهو أن يكون
المراد بها من خرجت من أجسادها حين خروجها لانها غير مستقرة
ولا يلزم من رؤيته آدم لها وهو فى السماء الدنيا أن تفتح لها أبواب
السماء ولا تلجها لانها تعرض عليه ويكشف له عنها من بعد
ورؤيته لآكلى الربا ومن ذكر معهم فيحتمل انها رؤية لحال
أرواحهم فى البرزخ بعد الموت وفى ذلك تصحيح لمن قال الارواح
أجساد لطيفة قابلة للتنعيم والعذاب ويحتمل أيضا أن تكون
مثلت له حالتهم فى الآخرة * (الوجه الثالث والعشرون
فى الكلام على رؤيته للانبياء المذكورين فى السموات وفى حكمة
اختصاص كل نبى بالسماء التى التقاه فيها وفى حكمة رؤيته لهؤلاء
الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين دون غيرهم من الانبياء) *
وقد اختلفت الروايات فى منازل الانبياء فى السموات ففى رواية أنس
عن أبى ذر قال فذكر انه وجد فى السموات آدم وادريس وموسى
وعيسى وابراهيم ولم يثبت كيف منازلهم وذكر ان ابراهيم فى
السادسة وفى سياق الزهرى فى روايته عن أنس عن أبى ذر انه
لم يثبت اسماءهم وسياق شريك فيه انه لم يضبط منازلهم ووقع
فى روايته ان ادريس فى الثالثة وهرون فى الرابعة ورواية قتادة
عن أنس عن مالك بن صعصعة عند البخارى فيها ضبط لمنازلهم فذكر

اسم كل نبي في السماء التي هو فيها كما هو مذكور في سياق القصة آنفا وكما سنتكلم عليه في حكمة ذلك ولا شك ان رواية من ضبط أولى لا سيما وقد وافق قتادة في روايته المذكورة ثابت البناني عن أنس عند مسلم ووافقهما يزيد بن أبي مالك عن أنس الا انه خالف في ادريس وهرون فقال هرون في الرابعة ادريس في الخامسة ووافقهم أبو سعيد الا أن في روايته يوسف في الثانية وعيسى ويحيى في الثالثة والرواية الاولى المذكورة أثبت * وقد اختلف المتكلمون على حديث الاسراء في الحكمة في اختصاص كل واحد من الانبياء بالسماء التي رآه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لا حكمة وانما الانبياء المذكورون لما علموا بقدومه ابتدروا الى لقائه ابتدار أهل الغائب للغائب القادم فمنهم من أسرع وسبق ومنهم من أبطأ ولحق ومنهم من فاته وهذا قاله ابن بطال وزيفه السهيلي فاصاب * وقيل بل لذلك حكمة أي حكمة وهو التنبيه على الحالات الخاصة بهؤلاء الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وتمثيل بما سيقع للنبي صلى الله عليه وسلم مع قومه من نظير ما وقع لهم واتفق مما قصه الله تعالى عنهم في كتابه والنبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الفأل الحسن ويستدل به على حسن العاقبة والفأل في اليقظة نظير الرؤيا في المنام فيكون تعبير الفأل ببيان ما يدل عليه يقظة كتعبير الرؤيا وأهل التعبير يقولون من رأى نبيا من الانبياء بعينه في المنام فان رؤياه تؤذن بما يشبه من حال ذلك النبي من شدة أو رخاء أو غير ذلك من الامور التي أخبر بها عن الانبياء في القرآن أو الحديث وهذا ما قاله السهيلي وتبعه غيره عليه

* فحكمة رؤيته لآدم فى السماء الدنيا لانه أوّل الانبياء وأوّل الآباء وهو الاصل فكان الاوّل فى الأولى ولاجل تأنيس النبوّة بالابوّة فى أوّل انتقاله الى العالم العلوى ووقع له التنبيه بما سيقع له صلى الله عليه وسلم من نظير ماوقع لآدم عليه السلام فانه كان فى أمن الله وجواره فى الجنة فاخرجه عدوّه ابليس منها وهذه القصة تشبهها الحالة الاولى من أحوال النبى صلى الله عليه وسلم وهى هجرته الى المدينة وخروجه من حرم الله وجوار بيته وكان أعداؤه سببا لخروجه لتمالئهم على ايذائه وتواطئهم على ذلك وهمهم بقتله فكربه ذلك وغمه وشق عليه لفراق ماألفه ووطنه كما وقع لآدم عند خروجه من الجنة من الكرب والغم والبكاء على فراقها فقد حكى عن بعض السادة انه رأى آدم صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال له أنت أبو البشر وتبكى على مفارقة دار وهى الجنة فانشده

شغفت بجار لا بدار ألفتها * على الجار أبكى لا على فرقة الدار

والحاصل ان الجامع بينهما ماحصل لكل منهما من المشقة وكراهته فراق ماألفه من الوطن ثم كان لكل منهما ان يرجع الى وطنه الذى خرج منه * وحكمة رؤيته ولقيه لعيسى ويحيى فى السماء الثانية لانهما الممتحنان باليهود أما عيسى فكذبته اليهود وآذته وهموا بقتله فرفعه الله تعالى وأما يحيى فقتلوه ففيه اشارة الى نظير ماوقع له صلى الله عليه وسلم بعد انتقاله الى المدينة فصار الى حالة ثانية من الامتحان وكانت محنته فيها باليهود آذوه وعادوه وهموا بالقاء الصخرة عليه ليقتلوه فنجاه الله تعالى كما نجى عيسى منهم ثم سموه فى الشاة فلم تزل تلك الاكلة تعاوده حتى قطعت ابهره كما قال عند الموت وأيضا فعيسى

كانت حالته ومقامه معالجة بنى اسرائيل والصبر على عداوة اليهود وحيلهم ومكرهم وطلب الانتصار عليهم بقوله من أنصارى الى الله أى مع الله قال الحواريون نحن أنصار الله وكانت حالته صلى الله عليه وسلم فى السنة الثانية من الهجرة نظير ذلك طلب الانصار للخروج الى بدر العظمى فأجابوه ونصروه * وحكمة رؤيته ليوسف صلى الله عليه وسلم فى السماء الثالثة الاشارة الى حالة ثالثة تشبه حالة يوسف وماجرى له مع اخوته الذين أخرجوه من بين أظهرهم ثم ظفر بهم فصفح عنهم وقال لا تثريب عليكم اليوم وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم جرى له مع قريش نصبوا له الحرب وأرادوا اهلاكه وكانوا سببا فى اخراجه من بين أظهرهم ثم ظفر بهم فى غزوة الفتح فصفح عنهم وقال أقول كما قال أخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم وأيضا مناسبة لقيه له فى السماء الثالثة ان السنة الثالثة من سنى الهجرة وقعت فيها غزوة أحد ومما اتفق فيها من المناسبة شيوع قتل النبى صلى الله عليه وسلم فناسب ماحصل للمسلمين من الاسف على فقد نبيهم ماحصل ليعقوب من الاسف على يوسف لاعتقاده انه فقد الى ان وجد ريحه بعد تطاول الامد ومن المناسبة أيضا بين القصتين ان يوسف عليه الصلاة والسلام كيد وألقى فى غيابة الجب حتى استنقذه الله على يد من شاء ورسول الله صلى الله عليه وسلم وقع له فى غزوة أحد ان أكبت الحجارة على جبهته من قريش حتى سقط بجنبه فى حفرة كان أبو عامر الفاسق قد حفرها مكيدة للمسلمين فأخذ على كرم الله تعالى وجهه بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتضنه طلحة حتى قام * وفى رواية مسلم انه صلى الله عليه وسلم لما أخبر برؤيته ليوسف صلى الله

عليه وسلم في الثالثة قال فاذا هو قد أعطي شطر الحسن وفي رواية البيهقي وغيره فاذا أنا برجل أحسن ما خلق الله قد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب (فان قيل) هذا يدل على ان يوسف كان أحسن من جميع الناس (أجيب) بأن الترمذي روى من حديث أنس ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم أحسنهم صوتا وأحسنهم وجها فيحمل ما في حديث المعراج من قوله أعطي شطر الحسن وأحسن ما خلق الله الخ على غير نبينا عليه الصلاة والسلام وحمل بعضهم قوله أعطي شطر الحسن على ان المراد ان يوسف أعطي شطر الحسن الذي أوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم وفيه نظر لان حقيقة الحسن الكامل كامنة فيه لانه الذي تم معناه دون غيره فهي غير منقسمة بينه وبين غيره والا لما كان حسنه تاما لانه اذا انقسم لم ينله الا بعضه فلا يكون تاما ولله در الابوصيري حيث أشار الى ذلك بقوله

فهو الذي تم معناه وصورته * ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم
منزه عن شريك في محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم

وقد قال العلماء من ان تمام الايمان به صلى الله عليه وسلم الايمان بأن الله تعالى جعل خلق بدنه الشريف على وجه لم يظهر قبله ولا بعده خلق آدمي مثله فيكون ما تشاهد من خلق بدنه آيات على ما يتضح من عظيم خلق نفسه الكريمة وما يتضح من عظيم اخلاق نفسه آيات على ما تحقق له من سر قلبه المقدس وقد حكى القرطبي في كتاب الصلاة عن بعضهم انه قال لم يظهر لنا تمام حسنه صلى الله عليه وسلم لانه لو ظهر لنا تمام حسنه لما أطاقت أعيننا رؤيته صلى الله عليه وسلم

ولقد أحسن الابوصيرى أيضا حيث قال

أعيا الورى فهم معناه فليس يرى * للقرب والبعد فيه غير منفحم
كالشمس تظهر للعينين من بعد * صغيرة وتكل الطرف من أمم

وهذا مثل قوله أيضا

انما مثلوا صفاتك للنا * س كما مثل النجوم الماء

والتشبيهات الواردة فى حقه صلى الله عليه وسلم كما هنا فى قوله كالشمس تظهر الخ وقوله كما مثل النجوم الماء ونحو ذلك انما هى على سبيل التقريب والتمثيل والافذاته أعلى وأغلى * وحكمة رؤيته لادريس عليه الصلاة والسلام فى السماء الرابعة وهو المكان الذى رفعه الله اليه وسماه مكانا عليا للايذان بحالة رابعة وهى علو شأنه ومنزلته صلى الله عليه وسلم وللاشارة الى احرازه صلى الله عليه وسلم لخصائصه فان المنقول ان ادريس أول من كتب بالقلم وانتشر منه بعده فى أهل الدنيا وكتب الى الملوك يدعوهم الى التوحيد وقاتل بنى قابيل فكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم اتخذ الكتاب والخاتم وكتب عنه بالقلم الى ملوك الآفاق عند استفحال الاسلام يدعوهم الى طاعته وخافته الملوك حتى قال أبو سفيان بن حرب وهو عند ملك الروم هرقل حين جاءه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى ما رأى من خوف هرقل لقد أمر أمر ابن أبى كبشة حتى أصبح تخافه ملوك بنى الاصفر فمن الملوك المكتوب اليهم من اتبعه على دينه كالنجاشى وملك عمان ومنهم من هادنه وأهدى اليه كهرقل والمقوقس ومنهم من تعصى عليه فاظفره الله تعالى به فهذا مقام على وخط بالقلم كنحو ما أوتى ادريس صلى الله عليه وسلم * وقوله

فى ادريس قد رفعه الله مكانا عليا مع انه رأى موسى وابراهيم فى
مكان أعلى من مكان ادريس فذلك والله أعلم لما ذكر عن كعب
الاحبار ان ادريس خص من بين جميع الانبياء بأنه رفع قبل وفاته
الى السماء الرابعة رفعه ملك كان صديقا له وهو الملك الموكل
بالشمس وكان ادريس سأله ان يريه الجنة فأذن الله له فى ذلك فلما
كان فى الرابعة رآه هنالك ملك الموت فعجب وقال أمرت ان أقبض
روح ادريس فى السماء الرابعة فقبضه هنالك فرفعه حيا الى ذلك
المقام خاص به دون الانبياء قاله السهيلى * وقال البدر العينى فى شرح
البخارى فان قلت قال بعضهم ان ادريس فى الجنة يدل عليه قوله
تعالى ورفعناه مكانا عليا قيل المكان العلى هو الجنة قلت سمعت
بعض مشايخى الثقات يقولون ان ادريس لما أخبر بعروج النبى صلى
الله عليه وسلم استأذن ربه ان يستقبله فأذن له فاستقبله ولقيه فى السماء
الرابعة انتهى فان كان ادريس اختص بأنه أدخل الجنة فقد شاركه
النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك وزاد عليه بأنه دخلها حيا وادريس
انما دخلها بعد ان مات بل زاد عليه صلى الله عليه وسلم فى الارتفاع
الى أعلى الجنان وأرفع الدرجات وهذا غاية البيان فيما نحن بصدده
من المناسبة * وقول ادريس له مرحبا بالاخ الصالح استشكل
بأنه أب من آباء النبى صلى الله عليه وسلم وانه جد أعلى لنوح فكيف
خاطبه بالاخ ولم يخاطبه بالابن كما قال آدم وابراهيم عليهما الصلاة
والسلام وأجيب بأنه قد قيل عن ادريس انه الياس وانه ليس بجد
لنوح ولا هو فى عمود النسب وقال النووى ليس فى ذلك ما يمنع من
كون ادريس أبا لنبينا صلى الله عليه وسلم فان قوله الاخ الصالح قاله

تلطفا وتأدبا وهو أخ وان كان ابناوالانبياء اخوة والمؤمنون اخوة
وقال ابن المنير أكثر الطرق على انه خاطبه بالاخ وقال لى ابن أبى
الفضل صحت لى طريق أنه خاطبه فيها بالابن الصالح قال بعضهم وفى
صحة ذلك نظر * وحكمة رؤيته لهرون صلى الله عليه وسلم فى السماء
الخامسة للايذان باحرازه خصائصه وزيادة عليه فمن خصائص
هرون عليه الصلاة والسلام فصاحة اللسان وقد وصفه موسى
عليه الصلاة والسلام بذلك فقال هو أفصح منى لسانا الآية وقد حاز
نبينا صلى الله عليه وسلم المرتبة العليا من الفصاحة ولا خفاء بأن
أفصح اللغات لغات العرب وغاية لسان هرون وفصاحته
فى العبرانية والعربية أفصح منها ثم هو صلى الله عليه وسلم أفصح من
نطق بالضاد من بين أهل اللغة العربية ولان هرون كان محببا فى قومه
فيؤذن بحب قريش وجميع العرب له صلى الله عليه وسلم بعد بغضهم
له وللاشارة الى حصول حالة له صلى الله عليه وسلم تشبه حالة حصلت
لهرون عليه الصلاة والسلام مع بنى اسرائيل مما ناله منهم من الاذى
ثم الانتصار عليهم والايقاع بهم وقصر التوبة فيهم على القتل دون
غيره من العقوبات المحطة عنه وذلك ان هرون عند ما تركه موسى
فى بنى اسرائيل وذهب لموعد المناجاة تفرقوا على هرون وتحزبوا
عليه وداروا حول قتله ونقضوا العهد وأخلفوا الوعد واستضعفوا
جانبه كما حكى الله ذلك عنهم وكانت الخيانة العظمى التى صدرت منهم
عبادة العجل فلم يقبل الله منهم التوبة الا بالقتل فقتل فى ساعة
واحدة سبعون ألفا فكان نظير ذلك فى حقه صلى الله عليه وسلم
ما لقيه فى السنة الخامسة من الهجرة من يهود قريظة والنضير

وقينقاع فانهم نقضوا العهد وحزبوا الاحزاب وجمعوها وأظهروا
عداوته صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله وذهب اليهم قبل
الوقعة بزمن يسير يستعينهم فى دية قتيلين فأظهروا اكرامه
وأجلسوه تحت جدار ثم تواعدوا ان يلقوا عليه رحى فنزل جبريل
عليه الصلاة والسلام فأخبره بمكرهم الذى هموا به فمن حينئذ عزم
على حربهم وقتلهم وفعل الله تعالى ذلك وقتل قريظة بتحكيم
سعد بن معاذ فقتلوا أشرقتله وحاق المكر السيئ بأهله ونظير
استضعاف اليهود لهرون استضعافهم للمسلمين فى غزوة الخندق
*وحكمة رؤيته ولقيه لموسى صلى الله عليه وسلم فى السماء السادسة
للايذان بحصول حالة له صلى الله عليه وسلم تشبه حالة موسى مما وقع
له من معالجة قومه وقد أشار الى ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله
لقد أوذى موسى بأكثر من هذا فصبر وللاشارة الى مناسبة أخص
تتعلق برؤيته له فى السادسة وذلك ان موسى أراد ان يقيم الشريعة
فى الارض المقدسة وحمل قومه على ذلك فتقاعدوا عنه وقالوا ان
فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها وفى الآخر
تعجلوا بالقنوط فقالوا انا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فغضب عليهم
وحال بينهم وبينها وأوقعهم فى التيه وآل أمره الى قهر الجبابرة
واخراجهم من أرضهم وكذلك أراد النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه
السنة ان يدخل بمن معه مكة يقيم بها شريعة الله وسنة ابراهيم
فصدوه فلم يدخلها فى هذا العام ثم دخلها فى العام القابل وآل أمره
صلى الله عليه وسلم الى ان فتح مكة وقهر المتجبرين والمستهزئين من
قريش فكان لقاؤه لموسى تنبيها على التأسى به وحصول حالة له

تشابه حالة موسى صلى الله عليه وسلم * وما وقع فى القصة من ان
موسى لما جاوزه نبينا صلى الله عليه وسلم بكى فقيل له ما يبكيك فقال
أبكي لان غلاما بعث من بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل
الجنة من أمتي فاما البكاء من موسى فقال العلماء لم يكن حسدا
معاذ الله فان الحسد في ذلك العالم منزوع عن آحاد المؤمنين فكيف
عن اصطفاه الله تعالى وعصمه بل كان أسفا على ما فات أمته من بنى
اسرائيل من حظهم من الله عز وجل حيث قل الايمان فيهم
وندر القبول وفشا الطغيان والنكول قال وأسفا أيضا على ما فات
موسى مما فاز به محمد صلى الله عليه وسلم من كثرة الاجر الذى يترتب
عليه رفع الدرجات بسبب ما وقع من أمته من كثرة المخالفة
المقتضية لتنقيص أجورهم المستلزمة لتنقيص أجره لان لكل
نبي مثل أجر من اتبعه وكان من اتبعه من العدد دون من اتبع نبينا
صلى الله عليه وسلم مع طول مدتهم بالنسبة الى مدة هذه الامة
والبكاء على فوات الحظوظ الاخروية سنة متبعة وعلى مثل هذا
يناح ويبكى وفى ذلك فليتنافس المتنافسون والظاهر ان القائل
لموسى ما يبكيك هو الله سبحانه وتعالى ويدل على ذلك قوله فى الجواب
كما فى بعض الروايات يارب قاله ابن أبى جمرة وأما قول موسى صلى الله
عليه وسلم غلاما فليس ذلك على سبيل الغضاضة والتنقيص بل على
سبيل التنويه بقدرة الله وعظيم كرمه اذ أعطى لمن كان فى ذلك
السن مالم يعطه أحدا قبله ممن هو أسن منه قال الخطابى العرب
تسمى الرجل المستجمع السن غلاما مادامت فيه بقية من القوة
وقال ابن أبى جمرة العرب انما يطلقون على المرء غلاما اذا كان سيدا

فيهم فلا جل مافي هذه اللفظة من الاختصاص والاشعار
بالافضلية دون غيره من الالفاظ ذكره موسى ولم يذكر غيره تعظيما
للنبي صلى الله عليه وسلم * وقال الحافظ ابن حجر ويظهر لى ان موسى
أشار الى ما أنعم الله به على نبينا صلى الله عليه وسلم من استمرار القوة
فى الكهولة الى ان دخل فى أول سن الشيخوخة ولم يدخل فى بدنه
هرم ولا اعترى قوته نقص حتى ان الناس لما رأوه مردفا أبا بكر عند
قدومه المدينة أطلقوا عليه اسم الشاب وعلى أبى بكر اسم الشيخ
مع كونه فى العمر أسن من أبى بكر وفى امسال موسى عن البكاء
وعما وقع منه من الكلام حتى فارقه النبى صلى الله عليه وسلم مراعاة
لجانب نبينا صلى الله عليه وسلم وبشارة له وادخال السرور عليه
ويشهد لذلك بكاؤه قبل أن يبعد النبى صلى الله عليه وسلم عنه لانه
لو كان البكاء مختصا بموسى لم يكن يبكى حتى يبعد عنه بحيث لا يسمعه
فلما كان المراد به ما ينشأ عنه من السرور والبشارة بكى والنبى صلى
الله عليه وسلم منه بحيث يسمع والبشارة هى قول موسى يدخل الجنة
من أمته أكثر ممن يدخل الجنة من أمتى ونحو ذلك وقد وقع من
موسى العناية بهذه الامة فى أمر الصلاة مالم يقع لغيره ووقعت
الاشارة الى ذلك فى حديث أبى هريرة عند الطبرانى والبزار كان
موسى أشدهم على حين مررت به وخيرهم حين رجعت اليه وفى
حديث أبى سعيد فأقبلت راجعا فمررت بموسى ونعم الصاحب كان
لكم الحديث * وحكمة رؤيته ولقيه لابراهيم صلى الله عليه وسلم
فى السماء السابعة لانه الاب الاخير فناسب أن يتجدد للنبى صلى الله
عليه وسلم بلقيه أنس لتوجهه بعده الى عالم آخر وأيضا فمنزلة

الخليل

يا نبى سامى
حكم المعارج
١١٨
١٢٢

الخليل تقتضى أرفع المنازل ومنزلة الحبيب أرفع من منزلته فلذلك ارتفع النبى صلى الله عليه وسلم عن منزلة ابراهيم الى قاب قوسين أو أدنى ولقيه لابراهيم فى السابعة مناسبة أخرى أخص من ذلك وهى ان النبى صلى الله عليه وسلم اعتمر عمرة القضاء فى السنة السابعة من الهجرة ودخل مكة هو وأصحابه ملبين معتمرين محييا لسنة ابراهيم صلى الله عليهما وسلم ومقيما لرسمه الذى كانت الجاهلية أماتت ذكره وبدلت أمره وفى بعض الطرق انه رأى ابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور فى السماء السابعة فكان ذلك والله أعلم اشارة الى انه يطوف بالكعبة فى السنة السابعة وهى أول دخلة دخلها مكة بعد الهجرة والكعبة فى الارض قبالة البيت المعمور وفى قوله صلى الله عليه وسلم فى صفة البيت المعمور فاذا هو يدخله كل يوم سبعون الفا من الملائكة لا يرجعون اليه الى آخر الدهر اشارة الى انه اذا دخل البيت الحرام لا يرجع اليه لانه لم يدخله بعد الهجرة الا يوم الفتح ثم لم يعاوده الا فى حجة الوداع (فان قيل) لم لم ير النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة فى السماء نوحا عليه الصلاة والسلام وهو من أولى العزم (قلت) سمعت من بعض مشايخى رحمه الله تعالى ورحمهم يقول انما لم ير نوحا ونحوه لانها ليلة رحمة فناسب ان لا يرى فيها من استوصل قومه بالعذاب وفى سؤاله صلى الله عليه وسلم من جبريل عن كل واحد من الانبياء الذين رآهم فى السموات بقوله من هذا يا جبريل فيقول هذا أبوك آدم الخ اشكال وهو ان يقال كيف أم بالانبياء فى بيت المقدس وسلم عليهم وعرفهم ثم سأل عنهم تلك الليلة حين رآهم فى السموات من جبريل فانه لو رآهم

وعرفهم قبل ذلك لما احتاج الى سؤال جبريل عنهم ويجاب بأنه يحتمل
انه رآهم ببيت المقدس على حالة من تصور الارواح بصورة الاجساد
أو من حضور الاجساد بالارواح ثم لما رآهم فى السماء رآهم على حالة
غير التى رآهم عليها فى الارض فلذلك سأل عنهم أو انه رآهم فى منازلهم
فى الموضعين على حالة واحدة لكن لما شاهدهم تلك الساعة
فى الارض ثم رآهم فى منازلهم فى السماء سأل عنهم تعظيما للقدرة
الالهية واستثباتا لا تعجبا فانه عالم ان الله تعالى الذى اصعده الى هذا
المكان فى لحظة قادر على نقلهم الى السموات فى أسرع من طرفة عين
سبحانه وتعالى * (الوجه الرابع والعشرون فى الكلام على البيت
المعمور) * قال أبو عبيدة ومعنى المعمور الكثير الغاشية ويسمى
أيضا الضراح بضم الضاد المعجمة وتخفيف الراء وآخره حاء مهملة
وهذا هو المشهور وما قيل انه بالصاد المهملة فغلط وبالضراح تسميه
الملائكة وسمى به لانه ضرح عن الارض أى بعد * وقال مجاهد
البيت المعمور هو الضريح يعنى بالمعجمة وهو فى اللغة البعيد وأكثر
الروايات انه فى السماء السابعة * وروى ابن جرير والحاكم وصححه
عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال البيت المعمور فى السماء
السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه حتى تقوم
الساعة * وروى اسحق بن راهويه فى مسنده عن على رضى الله تعالى
عنه أنه سئل عن البيت المعمور فقال بيت فى السماء السابعة بحيال
البيت حرمته كحرمة هذا فى الارض يدخله كل يوم سبعون الف ملك
ولا يعودون اليه واخرجه الطبرانى من حديث أنس مرفوعا
واستدل بهذين الحديثين وغيرهما على ان الملائكة أكثر المخلوقات

فانه

فانه لايعرف من جميع العوالم من يتجدد من جنسه فى كل يوم سبعون الفا غير ماثبت فى ذلك * واخرج أبو الشيخ من طريق الليث قال حدثنى خالد بن سعد قال بلغنى ان اسرافيل عليه السلام مؤذن أهل السماء يسمع تأذينه من فى السموات السبع ومن فى الارض الا الجن والانس ثم يتقدم عظيم الملائكة فيصلى بهم قال وبلغنا أن ميكائيل عليه السلام يؤم الملائكة بالبيت المعمور *(فائدة)* نقل الحافظ البرهان الحلبى فى نور النبراس على سيرة ابن سيد الناس ان السلطان الظاهر برقوق سأل عن البيت المعمور من أى شئ هو قال فاجاب بعض الحاضرين بانه من عقيق ونقله عن بعض التفاسير انتهى *(الوجه الخامس والعشرون فى الكلام على سدرة المنتهى)* والسدر شجر النبق واحده سدرة وقيل لها المنتهى لانها ينتهى اليها ما يهبط من فوقها فيقبض منها او اليها ينتهى ما يعرج من الارض كما رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود وقيل غير ذلك قال ابن دحية اختيرت السدرة دون غيرها لان فيها ثلاثة أوصاف ظل مديد وطعم لذيذ ورائحة ذكية فكانت بمنزلة الايمان الذى يجمع القول والعمل والنية فالظل بمنزلة العمل والطعم بمنزلة النية والرائحة بمنزلة القول * وقد وقع فى حديث ابن مسعود عند مسلم ان السدرة فى السماء السادسة وظاهر حديث أنس انها فى السابعة قال القرطبى وهو تعارض لاشك فيه وحديث أنس قول الاكثر وهو الذى يقتضيه وصفها بكونها التى ينتهى اليها علم كل نبى مرسل وكل ملك مقرب ويترجح أيضا بأنه مرفوع وحديث ابن مسعود موقوف قال الحافظ ابن حجر كذا قال يعنى القرطبى

ولم يصرح على الجمع بل جزم بالتعارض ولا يعارض قوله أنها فى
السادسة مادلت عليه بقية الاخبار انه وصل اليها بعد ان دخل
فى السماء السابعة لانه يحمل على ان أصلها فى السماء السادسة
وأغصانها وفروعها فى السماء السابعة وليس فى السادسة منها
الأصل ساقها قال ابن أبى جمرة والاظهر أن شجرة المنتهى مغروسة
بالارض بدليل قوله ونهران باطنان ولا يطلق هذا اللفظ وما أشبهه
الاعلى ما يفهم والباطن لابد ان يكون سريانه تحت شئ وحينئذ
يطلق عليه اسم الباطن * وقال القاضى عياض رحمه الله تعالى دل
الحديث على ان أصل سدرة المنتهى فى الارض لكونه قال ان
النيل والفرات يخرجان من أصلها وهما بالمشاهدة يخرجان من
الارض فيلزم منه ان يكون أصل السدرة فى الارض وتعقبه
النووى بأن المراد بكونهما يخرجان من أصلها غير خروجهما بالنبع
من الارض * والحاصل ان أصلهما من الجنة وهما يخرجان أولا من
أصل السدرة ثم يسيران الى ان يستقرا فى الارض ثم ينبعان وما وقع
فى القصة من قوله واذا فى أصلها أربعة انهار نهران باطنان ونهران
ظاهران وقول جبريل لما سئل عنها أما الباطنان فنهران فى الجنة
وأما الظاهران فالنيل والفرات قال ابن ابى جمرة فى قول جبريل
هذا دليل على ان الفرات والنيل ليسا من الجنة وسدرة المنتهى
ليست فى الجنة حتى يقال انهما يخرجان منها بعد نبعهما من
السدرة وهذا معارض لما رواه مسلم عن أبى هريرة مرفوعا سيحان
وجيحان والفرات والنيل كل من انهار الجنة والجمع بينهما
والله اعلم ان الفرات والنيل منبعهما من السدرة واذا نزلا الى

الارض يسلكان أولا على الجنة فيدخلانها ثم بعد ذلك ينزلان الى الارض اه وفيه نظر لان ظاهر قوله يسلكان أولا على الجنة انهما انما كانا من أنهار الجنة باعتبار المرور والسلوك عليها لا بكونهما دائما فيها وظاهر الحديث وقول السلف يخالف ذلك فقد أخرج الحرث فى مسنده والبيهقى فى الشعب عن كعب قال نهر النيل نهر العسل فى الجنة ونهر دجلة نهر اللبن ونهر الفرات نهر الخمر ونهر سيحان نهر الماء وقد استدل على فضيلة النيل والفرات بكون منبعهما من الجنة وانهما ينبعان من أصل سدرة المنتهى بخلاف غيرهما وان كان من أنهار الجنة كسيحان وجيحان فلا ينبعان من أصل السدرة فامتاز النيل والفرات عليهما بذلك (فان قيل) قد وردت الاخبار بأن من شرب من ماء الجنة لا يموت ولا يفنى وانه ليس له فضلة تخرج على ما يعهد فى دار الدنيا وانما هو جشاء ورشحات مسك على البدن وماء النيل وما ذكر معه من المياه التى وردانها من انهار الجنة ليس فيها هذه الخاصية العظمى المذكورة (أجيب) عن ذلك بأن الله تعالى جعل فى ماء الجنة هذه الخاصية العظمى ثم لما شاءت الحكمة الالهية بنزوله الى هذه الدار نزعت منه تلك الخصوصية وبقى جوهره بحاله وكل الخواص مثله فى هذا المعنى ان شاء الله تعالى أبقى له الخاصية وان شاء سلبها مع بقاء جوهرها ليس لذوات الخواص تأثير بل الخاصية خلقه تعالى والجوهر خلقه وانما القدرة هى المؤثرة فى كلها قاله ابن أبى جمرة * وأما النهران الباطنان فى الجنة فقال مقاتل هما السلسبيل والكوثر *(فائدة)* أخرج أبو نعيم والضياء عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لهالكم تظنون ان لانهار الجنة أخدودا فى الارض لا والله انها لسائحة على وجه الارض اه والاخدود شق فى الارض مستطيل (وقوله واذا نبقها مثل قلال هجر) فنبقها بفتح النون وكسر الموحدة وهذا هو الذى ثبت فى الرواية وان جاز سكون الموحدة والنبق معروف وهو ثمر السدر والقلال بالكسر جمع قلة بالضم وهى الجرار الواحدة تسع قربتين أو أكثر وهجر بفتح الهاء والجيم بلدة بقرب المدينة الشريفة يريد ان ثمر السدرة فى الكبر مثل القلال وكانت معروفة عند المخاطبين (وقوله واذا ورقها مثل آذان الفيلة) بكسر الفاء وفتح التحتية بعدها لام جمع فيل ولا منافاة بين ذلك وبين قوله تكاد الورقة تغطى هذه الامة لان المراد التشبيه فى الشكل خاصة لا فى الكبر (وقوله فى السدرة يغشاها فراش) وفى رواية جراد من ذهب وهو المراد بالفراش قال البيضاوى ذكر الفراش والجراد وقع على سبيل التمثيل لان من شأن الشجران يسقط عليها الجراد وشبهه وجعلها من الذهب لصفاء لونها واضاءتها فى نفسها وقال الحافظ ابن حجر يجوز ان يكون من الذهب حقيقة ويخلق الله تعالى فيها الطيران والقدرة صالحة لذلك اه *(تتمة)* عد بعضهم رفعه صلى الله عليه وسلم الى سدرة المنتهى معراجا ثامنا بالنسبة الى السموات السبع وسأل عن حكمة هذا المعراج الثامن الى سدرة المنتهى للسنة الثامنة من الهجرة وأجاب بان وجه ذلك والله أعلم ان السنة الثامنة لما اشتملت على فتح مكة وهى أم القرى واليها المنتهى ومنها المبتدا على ما وردان الارض كلها دحيت من مكة فلذلك سميت أم القرى أوهى أم القرى لان أهل القرى يرجعون

اليها

اليهما في الدين والدنيا حجا واعتمارا وجوارا وكسبا واتجارا فبين سدرة المنتهى وأم القرى من المناسبة ما لا يخفى اذ سدرة المنتهى ينتهى اليها علم الخلائق ومكة ينتهى اليها أهل الآفاق شرقا وغربا وفيها يكون الاجتماع فكان بلوغه الى سدرة المنتهى تنبيها على بلوغه فتح مكة في العام الثامن وقد غشيها الجراد أو الفراش الذي هو جند من جند الله كما غشى مكة في الفتح جند الله وحزبه وغشيها أيضا أجناس من الخلق وألوان من الاسود والاحمر كما غشى سدرة المنتهى ألوان لا يعلمها الا الله تعالى ولما غشيت الالوان السدرة حسنت الى أن لا يحسن أحد ان ينعتها لفرط الحسن كما ان ألوان الخلق لما غشيت مكة يوم الفتح حسنت حينئذ بالايمان وبأهل القرآن حتى لا يحسن أحد ان يصف حالها حينئذ من عظيم الشان *(الوجه السادس والعشرون في الكلام على رؤيته للجنة والنار وما يتعلق بذلك)* قوله في القصة ثم أخذ على الكوثر حتى دخل الجنة قال الامام العز بن عبد السلام في تفسيره في هذا الحديث دليل على ان السدرة ليست في الجنة وجزم به ابن أبي جمرة كما أشير اليه فيما سبق وقال ابن دحية ثم هنا ليست للترتيب كما في قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا وانما هي مثل الواو للجمع والاشتراك فهي بذلك خارجة عن أصلها * قال ابن اقبرس في شرح الشفاء وهو خلاف الظاهر وفي عرض الجنة عليه صلى الله عليه وسلم كما قاله ابن دحية كرامة عظيمة لانه كان يعرض الجنة على أمته ليشتروها كما قال عن ربه تبارك وتعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة الآية فاراد الله تعالى ان يعاين

٢٦

النبي صلى الله عليه وسلم ماي مرضه على أمته ليكون وصفه لها على مشاهدة ويحتمل انه انما أراه اياه ليعلم خسة الدنيا في جنب ما رآه فيكون في الدنيا أزهد وعلى الشدائد أصبر حتى يؤديه الى الجنة * ويحتمل ان الله تعالى اراد ان لا يكون لاحد كرامة الا ان يكون لمحمد مثلها ولما كان لادريس كرامة دخول الجنة قبل يوم القيامة اراد الله سبحانه وتعالى ان تكون لصفيه وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم (وقوله في القصة فرأى على بابها يعني الجنة مكتوبا الصدقة بعشرة امثالها والقرض بثمانية عشر) قال بعض العلماء في توجيه كون درهم القرض بثمانية عشر ان درهم القرض بدرهمين من دراهم الصدقة كما ورد ودرهم الصدقة بعشرة ودرهم القرض يرجع للمقرض بدله وهو بدرهمين من جملة مبلغ أصله وهو عشرون يتاخر للمقرض ثمانية عشر وفي هذا مع قوله صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما بال القرض أفضل من الصدقة قال لان السائل يسأل وعنده والمستقرض لا يستقرض الا من حاجة دليل على أفضلية القرض على الصدقة لكن رجح كثيرون الصدقة عليه لما ورد في الصدقة من الدلائل الكثيرة المشهورة (قوله واذا فيها يعني الجنة جنابذ اللؤلؤ) بجيم ونون مفتوحتين ثم ألف ثم باء ثم ذال معجمة وهي القباب وهي المعروفة (وقوله واذا رمانها كالدلاء) هو جمع دلو (وقوله واذا ابطيرها كالبخاتي) هو جمع بختي (وقوله ثم عرضت عليه النار) انما عرضت عليه كما قال ابن دحية لكون في القيامة اذا قال سائر الانبياء نفسي نفسي ونبينا صلى الله عليه وسلم يقول امتي امتي وذلك حين تسعر جهنم لانهم لم يروا قبل يوم القيامة شيأ

منها

منها فاذا رأوها جزعوا وكفت ألسنتهم عن الخطبة والشفاعة من هولها وشغلتهم عن أمهم وهو صلى الله عليه وسلم قد رأى جميع ذلك فلا يحصل له مثل ما حصل لهم ليقدر على الخطبة وهو المقام المحمود وان الكفار لما كانوا يكذبونه ويؤذونه أشد الأذى أراه الله تعالى النار التي أعدها للمؤذين له المستخفين به وبأمره تطيبا لقلبه وتسكينا لفؤاده والاشارة فى ذلك الى تطييب قلبه فى شأن أعدائه بالاهانة والانتقام فأولى ان يطيب قلبه فى شأن اوليائه بالشفاعة والاكرام وليعلم منة الله عليه حين انقذهم منها ببركته وشفاعته (وقوله رأى مالكا خازن النار فبدأ النبى صلى الله عليه وسلم بالسلام) قال السهيلى لم يره على الصورة التى يراه عليها المعذبون فى الآخرة ولو رآه على تلك الصورة ما استطاع ان ينظر اليه قال الطيبى انما بدأ مالك بالسلام ليزيل ما استشعر من الخوف منه بخلاف سلامه على الانبياء ابتداء كما سبق اه وقد وقع فى رواية أن النبى صلى الله عليه وسلم بدأ مالكا بالسلام لكن الرواية الاولى اصح اسنادا من هذه ويحتمل ان يقال لو رود هذه الرواية ان النبى صلى الله عليه وسلم رآه أكثر من مرة ففى الاولى بدأ مالك النبى صلى الله عليه وسلم بالسلام وفى الثانية بدأه النبى صلى الله عليه وسلم بالسلام *(الوجه السابع والعشرون فى الكلام على المستوى الذى سمع فيه صريف الاقلام)* قوله فى القصة ثم عرج به حتى ظهر لمستوى سمع فيه صريف الاقلام فمستوى بفتح الواو والتنوين موضع مشرف وهو المصعد وقيل المكان المستوى واللام فى قوله لمستوى للتعليل أى ارتفعت لاستعلاء مستوى

أو لرؤيته أو لمطالعته ويحتمل ان تكون متعلقة بالمصد رأى ظهرت ظهورا لمستوى ويحتمل ان تكون بمعنى الى وفى رواية بمستوى بالباء وهى ظرفية وصريف الاقلام بفتح الصاد المهملة وكسر الراء وبالفاء قال النووى وغيره هو صوت حركتها وجريانها على المكتوب فيه من أقضية الله ووحيه وما ينسخونه من اللوح المحفوظ أو ماشاء الله تعالى من ذلك ان يكتب ويرفع لما اراده من امره وتدبيره وفى ذلك حجة لاهل السنة فى الايمان بصحة كتابة الوحى والمقادير فى كتب الله من اللوح المحفوظ بالاقلام التى هو يعلم جنسها وكيفيتها على ما جاءت به الآيات فى كتابه العزيز والاحاديث الصحيحة وما جاء من ذلك على ظاهره لكن كيفية ذلك وصورته وجنسه مما لا يعلمه الا الله تعالى ومن أطلعه على شئ من ذلك من ملائكته ورسله وما يتأول هذا أو يحيله الاضعيف النظر والايمان اذ جاءت به الشريعة ودليل المعقول لايحيله والله تعالى يفعل مايشاء ويحكم مايريد حكمة من الله تعالى واظهارا لما يشاء من غيبه لمن يشاء من ملائكته وسائر خلقه والافهو غنى عن الكتب والاستذكار سبحانه وتعالى قاله القاضى عياض * وقال ابن المنير قد علم ان الاقلام انما تكتب الاقدار والمقدر المكتوب قديم وانما الكتابة حادثة وجاءت الاخبار بأن اللوح المحفوظ فرغ من كتابته وجف القلم بما فيه قبل خلق السموات والارض وانما هذه الكتابة المجددة فى صحف الملائكة كالفروع المنتسخة من الاصل وفيها المحو والاثبات على ماورد فى الاثر وأصل اللوح المحفوظ الذى انتسخ منه هو علم الغيب القديم فى أزل القدم وهو الذى لامحو فيه ولا اثبات

حيث لا لوح ولا قلم * قال القرطبي في المفهم ولعل الاقلام الموصوفة هنا هي المعبر عنها بالقلم المقسم به في قوله تعالى ن والقلم ويكون القلم هنا الجنس (فان قلت) ما المناسبة بين هذا المعراج التاسع وبين العام التاسع من سني الهجرة (قلت) كان في العام التاسع غزوة تبوك وفيها خرج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى الشام في العدد الذي لم يتم قبله مثله كان العدد فيها ثلاثين ألفا وكانت الشقة بعيدة ولهذا لم يور فيها بل أعلم الناس بتوجههم ليكون تأهبهم بحسب ذلك ومع هذا الاجتهاد في الاستعداد لم يلق النبي صلى الله عليه وسلم فيها حربا ولا افتتح بلدا وذلك لان أجل فتوح الشام لم يكن حل بعد فانفسخ العزم بالقدر وبجفاف القلم ورجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وعلى المسلمين الوقار والسكينة من غير اضطراب عند انصراف العزيمة اه *(الوجه الثامن والعشرون في الكلام على الرفرف والسحابة وما يتعلق بذلك)* اعلم ان الامام ابن المنير قال في كتابه المقتفي في شرف المصطفى ان سني الهجرة العشرة بجملتها مطابقة للمعاريج التي كانت ليلة الاسراء ومقابلة لها بالمناسبة وقد كانت المعاريج عشرا على عدد سني الهجرة منها سبعة معاريج الى السموات السبع والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع الى المستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام في تصاريف الاقدار والعاشر الى العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب وهو حقيقة اللقاء ولهذا ختمت سني الهجرة العشرة بالوفاة وهي لقاء الحق جل جلاله كما ختمت معاريج الاسراء باللقاء والحضور بحضرة القدس على ما تقدم الكلام عليه في الحديث

التام * ثم انه ذكر مناسبة لقيه لكل نبي في السماء الذي هو فيها الى انتهاء السموات ثم ذكر مناسبة المعراج الثامن وهو سدرة المنتهى الى السنة الثامنة ثم مناسبة المعراج التاسع وهو المستوى الى السنة التاسعة وقد أشرنا الى شئ من ذلك من كلامه وكلام غيره ثم قال المعراج العاشر الى الرفرف وحينئذ لاقى الله عز وجل بحضرة القدس وقام بقيام الانس ورفع الحجاب وسمع الخطاب وكان قاب قوسين أو أدنى لا بالصورة ولكن بالمعنى * والمناسبة بين هذا المعراج العاشر وبين العام العاشر من سنى الهجرة أمر بين واضح اذ اجتمع فى هذا العام اللقاآن اللذان أحدهما لقاء البيت وحج الكعبة ووقوف عرفة واكمال الدين واتمام النعمة على المسلمين واللقاء الثانى لقاء رب البيت وكانت فيه الوفاة واللقاء والانتقال من دار الفناء الى دار البقاء والعروج بالروح الكريمة الى المقعد الصدق والى الموعد الحق والى الوسيلة وهى المنزلة الرفيعة التى لا تنبغى الا لعبد واحد اختاره الله على خلقه وهو محمد صلى الله عليه وسلم كما ورد فى صحيح الخبر انه سئل عن الوسيلة وهى المنزلة الرفيعة التى لا تنبغى الا لعبد واحد من عباد الله وأرجو ان يكون أنا ورجاؤه صلى الله عليه وسلم محقق وأمله مصدق وخاطره موفق اه قوله ان المعراج العاشر الى العرش والرفرف الخ فى ذكره عروجه الى العرش نظر لانه لم يرد فى احاديث المعراج الثابتة انه صلى الله عليه وسلم عرج به الى العرش تلك الليلة بل لم يرد فى حديث انه صلى الله عليه وسلم جاوز سدرة المنتهى بل انتهى اليها وفى بعض الاحاديث لم يذكر السدرة بل ذكر فيها انه انتهى الى مستوى سمع فيه صريف

الاقلام فقط وأما الرفرف فيحتمل أن المراد به السحابة التى غشيته وفيها من كل لون التى رواها ابن أبى حاتم عن أنس وعند ما غشيته تأخر عنه جبريل صلى الله عليه وسلم لكن ظاهر السياق والقصة تقتضى انها قبل عروجه الى المستوى الذى سمع فيه صريف الاقلام وصنيع تعداد ابن المنير للمعاريج يخالف ذلك فلو جعل المعراج العاشر هو حضرة القدس التى حصل فيها اللقاء والمناجاة والرؤية وحذف العرش والرفرف لكان أولى لما ذكرنا *(تتمة لهذا الوجه)* وهو أنه سئل الشيخ الامام رضى الدين القزوينى رحمه الله تعالى عن وطء النبى صلى الله عليه وسلم العرش بنعله وقول الرب جل جلاله لقد شرف العرش بنعلك يا محمد هل ثبت ذلك أم لا * فأجاب بما نصه أما حديث وطء النبى صلى الله عليه وسلم العرش بنعله فليس بصحيح وليس بثابت بل وصول النبى صلى الله عليه وسلم الى ذروة العرش لم يثبت فى خبر صحيح ولا حسن ولا ثابت أصلا وانما صح فى الاخبار انتهاؤه الى سدرة المنتهى فحسب وأما الى ما وراءها فلم يصح وانما ورد ذلك فى أخبار ضعيفة أو منكرة لا يعرج عليها والله تعالى أعلم بالصواب * وقد رأيت بخط بعض المحدثين بعد نقله كلام الشيخ رضى الدين رحمه الله ما نصه ملخصا أقول ما ذكره الشيخ رضى الدين رحمه الله هو الصواب وقد وردت قصة الاسراء والمعراج مطولة ومختصرة عن نحو أربعين صحابيا وليس فى حديث أحد منهم انه صلى الله عليه وسلم كان تلك الليلة فى رجله نعل وانما ذلك شىء وقع فى نظم بعض القصاص الجهلة ولم يذكر العرش بل قال وأتى البساط فهم بخلع نعله فنودى لا تخلع الخ وهذا باطل لم يذكر فى شىء من

الاحاديث بعد الاستقراء التام ولم يرد فى حديث صحيح ولا حسن ولا ضعيف انه صلى الله عليه وسلم جاوز سدرة المنتهى بل انتهى اليها كما فى أكثر أحاديث المعراج وفى بعضها لم يذكر السدرة بل ذكر فيها انه انتهى الى مستوى سمع فيه صريف الاقلام فقط ومن ذكر انه جاوز ذلك فعليه البيان وأنى له بذلك ولم يرد فى خبر ثابت ولا ضعيف انه صلى الله عليه وسلم رقى العرش وما وقع فى بعض الاحاديث المختلقة التى افتراها بعضهم لا يلتفت اليه ولا أعلم خبرا ورد فيه انه صلى الله عليه وسلم رأى العرش الا ما رواه ابن أبى الدنيا عن أبى المخارق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مررت ليلة أسرى بى برجل مغيب فى نور العرش قلت من هذا أملك قيل لا قلت نبى قيل لا قلت من هو قيل هذا رجل كان فى الدنيا لسانه رطب من ذكر الله وقلبه معلق بالمساجد ولم يستسب لوالديه قط وهو خبر مرسل لا تقوم به الحجة فى هذا الباب وما ذكر فى السؤال يعنى المتقدم من انه صلى الله عليه وسلم رقى العرش بنعله فقاتل الله من وضعه ما أعدم حياءه وأدبه وما أجرأه على اختلاق الكذب على سيد المتأدبين ورأس العارفين صلى الله عليه وسلم والله تعالى أعلم بالصواب انتهى ملخصا *(الوجه التاسع والعشرون فى الكلام على ما وقع من الرؤية والمناجاة والكلام وفرض الصلاة وما وقع من المراجعة فيها)* قوله فى القصة فرأى ربه فيه دليل على وقوع الرؤية له تلك الليلة صلى الله عليه وسلم وقد روى الامام أحمد بسند صحيح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ربى عز وجل وقد اختلف السلف من الصحابة

٩

والتابعين

والتابعين وغيرهم في رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه ليلة المعراج
بيصره فنفت ذلك عائشة وذهبت الى انه انما رآه بقلبه وهو
المشهور عن ابن مسعود وجاء مثله عن أبي هريرة واليه ذهب كثير
من المحدثين والمتكلمين وذهب ابن عباس الى انه رآه ببصره وبه قال
سائر أصحاب ابن عباس وبه جزم كعب الاحبار والزهري وصاحبه
معمر وآخرون وحكى عن الحسن انه كان يحلف ان محمدا صلى الله
عليه وسلم رأى ربه وبه قال الشيخ أبو الحسن الاشعري وسائر أتباعه
وقال الامام النووي الراجح عند أكثر العلماء ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم رأى ربه بعيني رأسه ليلة المعراج وبسط الكلام على ذلك
وقال هو وغيره لم تنف عائشة الرؤية بحديث مرفوع ولو كان معها
لذكرته وانما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرت من ظاهر الآية وقد
خالفها غيرها من الصحابة والصحابي اذا قال قولا وخالفه غيره منهم
لم يكن ذلك حجة اتفاقا وقد خالف عائشة ابن عباس وغيره كما تقدم بل
أخرج الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس انه كان يقول نظر محمد
الى ربه مرتين مرة ببصره ومرة بفؤاده وقد تعقب قولهم انها لم تنف
ذلك بحديث مرفوع الى آخره بأن ذلك عجيب فقد أخرج مسلم
في صحيحه عن مسروق انه لما قال لعائشة ألم يقل الله ولقد رآه بالافق
المبين ولقد رآه نزلة أخرى فقالت له أنا أول من سأل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك فقال انما هو جبريل وأخرجه ابن مردويه ايضا
عن مسروق انها قالت له أنا أول من سأل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن هذا فقالت يارسول الله هل رأيت ربك فقال انما رأيت
جبريل منهبطا لكن التقي السبكي لما نقل في تفسيره عند قوله

ما كذب الفؤاد ما رأى قول ابن عطية ان حديث عائشة عن النبى
صلى الله عليه وسلم قاطع لكل تأويل فى اللفظ لان قول غيرها انما
هو منتزع من ألفاظ القرآن نظر السبكى فى حديثها المخرج فى مسلم
المذكور آنفا بأنه ان كان سؤالها يعنى عائشة رضى الله عنها عن
قوله ولقد رآه نزلة أخرى فليس مما نحن فيه وجائز ان يكون ذلك
جبريل هذا وان كان عن الآيتين فيقرب مما قاله ابن عطية
والاحتمال الحاصل فيما سألت عنه ليس فى لفظها صراحة بذكره
ثم قال السبكى فى آخر كلامه بعد ان نقل كلام النووى السابق
وقد قدمنا عن عائشة حديثا فى مسلم وتمسك به ابن عطية وأبدينا فيه
احتمالا فلذلك يستمر ما ادعاه هؤلاء الائمة من أن عائشة لم تذكر فيه
نصا وبان بهذا ان الراجح فى تفسير الآية ان الرؤية بالبصر والله
تعالى انتهى * وذهب جماعة الى الوقف فى هذه المسئلة ولم يجزموا
بنفى ولا اثبات لتعارض الادلة ورجح ذلك الامام أبو العباس القرطبى
فى المفهم وعزاه لجماعة من المحققين وقواه بأنه ليس فى الباب دليل
قاطع وغالب ما يستدل به الطائفتان ظواهر متعارضة قابلة للتأويل
قال وليست المسئلة من العمليات فيكتفى فيها بالادلة الظنية
وانما هى من المعتقدات فلا يكتفى فيها الا بالدليل القطعى * وقال
التقى السبكى رحمه الله تعالى فى السيف المسلول ليس من شرطه ان
يكون قاطعا متواترا بل متى كان حديثا صحيحا ولو ظاهرا وهو من
رواية الآحاد جاز له ان يعتمد عليه فى ذلك لان ذلك ليس من مسائل
الاعتقاد التى يشترط فيها القطع على أنا لسنا مكلفين بذلك انتهى
(تنبيهات) الاول منها ما قال الحافظ ابن حجر المراد برؤية الفؤاد

رؤية

رؤية القلب لا مجرد حصول العلم لانه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله على الدوام بل مراد من أثبت انه رآه بقلبه أن الرؤية التى حصلت له خلقت فى قلبه كما تخلق الرؤية بالعين لغيره زاد بعضهم بخلاف غيره من الاولياء فانهم اذا أطلقوا الرؤية والمشاهدة لانفسهم فانما يريدون المعرفة فاعلمه فانه من الامور المهمة التى يغلط فيها كثير من الناس اه والرؤية لا يشترط فيها شئ مخصوص عقلا ولو جرت العادة بخلقها فى العين قال الواحدى وعلى القول بأنه رآه بقلبه جعل الله بصره فى فؤاده أو خلق لفؤاده بصرا حتى رأى ربه رؤية صحيحة كما يرى بالعين اه *(التنبيه الثانى)* ان محل الخلاف الذى بين الصحابة فى الرؤية انما هو فى وقوعها لا فى امكانها وجوازها ومعاذ الله ان يختلفوا فى امكانها ومحاورتهم انما كانت فى الوقوع واختلافهم فى ذلك دليل على اجماعهم على جوازها قال القاضى عياض رؤيته الله عز وجل جائزة عقلا فى الدنيا وثبتت الاخبار الصحيحة المشهورة بوقوعها للمؤمنين فى الآخرة اما فى الدنيا فقال مالك انما لم ير الله سبحانه وتعالى فى الدنيا لانه باق والباقى لا يرى بالفانى فاذا كان فى الآخرة ورزقوا أبصارا باقية رأوا الباقى بالباقى وهو كلام حسن مليح ليس فيه دليل على استحالة الرؤية الا من حيث ضعف القوة فاذا قوى الله من شاء من عباده اقتدر على حمل اعباء الرؤية فى أى وقت كان ولا مانع من ذلك وهو الحق كما ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يرى جبريل والصحابة عنده لا يرونه للقوة التى أمده الله بها دونهم * قال الحافظ ابن حجر ووقع فى صحيح مسلم ما يؤيد هذه التفرقة بين الدنيا والآخرة

في حديث مرفوع فيه واعلموا انكم ان تروا ربكم حتى تموتوا
وأخرجه أيضا ابن خزيمة من طريقين فاذا جازت الرؤية في الدنيا
عقلا فقد امتنعت سمعا لكن من أثبتها للنبي صلى الله عليه وسلم له
ان يقول ان المتكلم لايدخل في عموم كلامه ومع القول بجوازها
في الدنيا لم تحصل لبشر غير نبينا صلى الله عليه وسلم على ما في ذلك من
الخلاف ومن ادعاها غيره في الدنيا يقظة فهو ضال بل قال الامام
الكواشي في تفسير سورة النجم ومعتقد رؤية الله تعالى هنا بالعين
لغير محمد صلى الله عليه وسلم غير مسلم وقال الاردبيلي في الانوار فلو
قال انى أرى الله عيانا في الدنيا ويكلمني شفاها كفر اه ونقل عن
المهدوي المفسر انه كفر مدعى الرؤية هنا وقد نقل جماعة الاجماع
على انها لاتحصل للاولياء في الدنيا قال الشيخان أبو عمرو بن الصلاح
وأبو شامة انه لايصدق مدعى الرؤية في الدنيا يقظة فان شيأ منع منه
كليم الله تعالى موسى صلى الله عليه وسلم واختلف في حصوله لنبينا صلى
الله عليه وسلم كيف يسمح به لمن لم يصل لمقامهما مما لايتوقف فيه انه
لايحصل لآحاد الناس * وقال الشيخ أبو بكر الكلاباذي في التعرف
ان المشايخ أطبقوا على تضليل مدعيها يعني الرؤية في الدنيا
وتكذيبه وصنفوا في ذلك كتبا ورسائل وزعموا ان من ادعى ذلك
لم يعرف الله تعالى وأقره العلاء القونوي في شرحه على ذلك وقال
وان صح عن أحد من المعتبرين وقوع ذلك فيمكن تأويله وذلك لان
غلبات الاحوال تجعل الغائب كالشاهد حتى اذا كثر اشتغال
السر بشئ واستحضاره له يصير كأنه حاضر بين يديه وهذا معلوم
لكل أحد وعلى هذا يحمل ما نقل عن ابن عمر رضي الله تعالى

عنهما انه كان يطوف حول البيت فسلم عليه انسان فلم يرد عليه فشكاه الى عمر رضى الله تعالى عنه فقال كنا نتراءى الله فى ذلك المكان وهذا يدل على انه قد يتفق ذلك فى زمان دون زمان ومكان دون مكان * وأما فى الآخرة فقد دل الكتاب والسنة على حصول الرؤية للمؤمنين فيها لانه يزول الضعف عن حواسهم فيرونه أما الكفار فلا يرونه وكذا سائر الحيوانات وقد اختلف فى رؤية الله تعالى فى المنام فمعظم المثبتين للرؤية على جوازها من غير كيفية وجهة ونقل بعضهم عن النووى انه قال قال القاضى عياض اتفق العلماء على جواز رؤية الله تعالى فى المنام وصحتها وان رآه الانسان على صفة لا تليق بجلاله من صفات الاجسام لان ذلك المرئى غير ذات الله تعالى اذ لا يجوز عليه سبحانه التجسيم ولا اختلاف الاحوال بخلاف رؤية النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فرؤيته تعالى كسائر أنواع الرؤيا من التمثيل والتخييل وقال بعض المحققين ان ذكر رؤية المنام فى مباحث الرؤية استطرادى لان رؤيا المنام نوع مشاهدة بالقلب دون العين اه وحكى عن كثير من السلف انهم رأوه عز وجل فى المنام فنقل عن الامام أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه انه قال رأيت رب العزة فى المنام فقلت يارب بم يتقرب المتقربون اليك قال بكلامى يا أحمد قلت يارب بفهم وبغير فهم قال بفهم وبغير فهم فهذا يدل على ان مذهب الامام أحمد الجواز ونقل ان الامام أبا حنيفة رضى الله تعالى عنه قال رأيت رب العزة فى المنام تسعا وتسعين مرة فقلت فى نفسى ان رأيته تبارك وتعالى تمام المائة لاسألن منه بم ينجو الخلائق من عذابه يوم القيامة قال

فرأيته سبحانه وتعالى فقلت يارب عز جارك وجل ثناؤك وتقدست أسماؤك بم ينجو عبادك يوم القيامة من عذابك فقال سبحانه وتعالى من قال بالغداة والعشى سبحان الابدى الابد سبحان الواحد الاحد سبحان الفرد الصمد سبحان رافع السماء بغير عمد سبحان من بسط الارض على الماء فجمد سبحان من خلق الخلق فاحصاهم عدد سبحان من قسم الرزق ولم ينس أحد سبحان الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولد سبحان الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد نجا من عذابى نقل ذلك صاحب مجمع الاحباب فى آخر ترجمته عن بعض الكتب وعن الترمذى الحكيم وهو من مشايخ الرسالة القشيرية قال رأيت الله تعالى فى المنام مرارا فقلت له يارب انى أخاف زوال الايمان فامرنى بهذا الدعاء بين سنة الصبح والفريضة احدى وأربعين مرة وهو هذا ياحى ياقيوم يابديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام يا الله لا اله الا أنت أسالك ان تحيى قلبى بنور معرفتك يا الله ياأرحم الراحمين * وعن الامام أبى العباس بن سريج البازالاشهب انه رأى فى مرض موته فى منامه كان القيامة قد قامت واذا الجبار سبحانه وتعالى يقول أين العلماء فجاؤا فقال ماذا عملتم فيما علمتم قال فقلنا قصرنا وأسأنا فاعاد السؤال كانه لم يرض بذلك الجواب وأراد جوابا آخر فقلت أما أنا فليس فى صحيفتى الشرك وقد وعدت ان تغفر مادونه فقال اذهبوا فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك بثلاث ليال والمنامات فى ذلك كثيرة وفيما ذكرناه كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم (وقوله فى القصة وكلمه ربه الى ان قال وجعلتك أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا) ووقع فى بعض الروايات

وجعلتك

وجعلتك فاتحا وخاتما قال بعضهم (فان قلت) ما الفرق بين هذا
وبين قوله وجعلتك أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا (قلت) الفاتح
والخاتم أعم من هذا اذ يصدق بأنه فاتح كل خير وخاتمه فيندرج
فيه هذا المعنى وأولهم من جهة الخلق خاص وكذلك كونه
آخرهم من جهة البعث فتأمل اه (وقوله وأعطيتك خواتيم
سورة البقرة من كنز تحت العرش الخ) فان قيل المعراج كان بمكة
ونزول الآية بالمدينة فيجاب بما قاله بعضهم ليس المراد بقوله
أعطى انها نزلت عليه بل المعنى انه استجيب له فيما لقن فى الآيتين
من قوله تعالى غفرانك ربنا الخ ولمن يقوم بحقهما من السائلين اه
أو المراد انه أعطاه ما سينزل عليه بعد ذلك (وقوله فرضت عليك
وعلى أمتك خمسين صلاة فقم بها أنت وأمتك وفى رواية وأعطى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس وخواتيم سورة
البقرة وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيأ المقحمات وفى رواية أنس
عن أبى ذر فرض الله على أمتى خمسين صلاة وفى رواية ثابت عن
أنس فرض الله على خمسين صلاة كل يوم وليلة) فيحتمل ان
يقال فى كل من هاتين الروايتين اختصار ويؤيده قوله فى الرواية
المتقدمة انى فرضت عليك وعلى أمتك الخ أو يقال ذكر الفرض
عليه يستلزم ذكر الفرض على الامة وبالعكس الا ما يستثنى
من خصائصه وفى ذلك اشارة الى عظيم شأن الصلوات لكون
فرضها كان مختصا بليلة الاسراء ولاختصاص فرضها بكونه بغير
واسطة بل بمراجعات تعددت والحكمة فى تخصيص فرض الصلاة
بليلة الاسراء انه صلى الله عليه وسلم لما عرج به رأى تلك الليلة

تعبد الملائكة منهم القائم فلا يقعد والراكع فلا يسجد والساجد
فلا يقعد فجمع الله له ولامته تلك العبادات فى ركعة واحدة
يصليها العبد بشرائطها من الطمأنينة والاخلاص وفى فرضها
فى تلك الليلة كما قاله السهيلى التنبيه على فضلها حيث لم تفرض
الافى الحضرة المقدسة المطهرة ولذلك كانت الطهارة من شأنها ومن
شرائطها والتنبيه على انها مناجاة الرب وان الرب تبارك وتعالى
يقبل بوجهه على المصلى يناجيه ويقول حمدنى عبدى أثنى على
عبدى الى آخر السورة وهو المشاكل بفرضها عليه فوق السماء
السابعة حين سمع كلام الرب وناجاه ولم يعرج به حتى طهر ظاهره
وباطنه بماء زمزم كما يتطهر المصلى للصلاة وأخرج عن الدنيا
بجسده كما يخرج المصلى عن الدنيا بقلبه ويحرم عليه كل شئ الامناجاة
ربه وتوجهه الى قبلته فى ذلك الحين وهو بيت المقدس ورفع الى
السماء كما يرفع المصلى يديه اشارة الى القبلة العليا وهو البيت
المعمور والى جهة عرش من يناجيه ويصلى له سبحانه وتعالى
(قوله فى القصة فأتى على ابراهيم فلم يقل شيأ ثم أتى على موسى قال
ونعم الصاحب كان لكم قال ما صنعت الخ) قال ابن أبى جمرة
الحكمة فى كون ابراهيم صلى الله عليه وسلم لم يكلم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى طلب التخفيف ان مقام الخلة انما هو الرضا والتسليم
والكلام فى هذا المقام ينافى ذلك المقام وموسى هو الكليم ومقامه
مقام الادلال والانبساط ومن ثم استبد بامر النبى صلى الله عليه وسلم
بطلب التخفيف دون ابراهيم صلى الله عليه وسلم مع ان للنبى صلى
الله عليه وسلم من الاختصاص بابراهيم أزيد مما له من موسى لمقام

الابوة

الابوة ورفعة المنزلة والاتباع فى الملة وقال القرطبى وأما قول من قال انه أول من لاقاه بعد الهبوط فليس بصحيح لان حديث مالك بن صعصعة انه رآه فى السادسة وابراهيم فى السابعة وهو أقوى اسنادا من حديث شريك الذى فيه انه رأى موسى فى السابعة قال الحافظ ابن حجر واذا جمعنا بينهما بأنه لقيه فى الصعود فى السادسة وصعد موسى الى السابعة فلقيه فيها بعد الهبوط ارتفع الاشكال وبطل الرد وقال القرطبى الحكمة فى تخصيص موسى عليه الصلاة والسلام بمراجعة النبى صلى الله عليه وسلم فى أمر الصلاة لعلها لكون أمة موسى كلفت بالصلاة مالم يكلف بها غيرها من الامم فثقلت عليهم فاشفق موسى عليه الصلاة والسلام على أمة محمد مثل ذلك ويشير اليه انى قد خبرت الناس قبلك اه قال السهيلى اعتنى موسى صلى الله عليه وسلم بهذه الامة والحاحه على نبيها ان يشفع لها ويسأل التخفيف عنها لان الله تعالى لما قضى اليه بجانب الغربى ورأى صفات أمة محمد فى الالواح وجعل يقول انى أجد فى الالواح أمة صفتهم كذا وكذا اللهم اجعلهم أمتى فيقول تلك أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اجعلنى من أمة محمد وهو حديث مشهور فى التفاسير فكان اشفاقه عليهم واعتناؤه بأمرهم كما يعتنى بالقوم من هو منهم بقوله اللهم اجعلنى منهم اه وفى قول موسى صلى الله عليه وسلم فان أمتك لا تطيق ذلك الخ دليل على جواز الحكم بما أجرى الله تعالى بحكمته من ارتباط العوائد لان موسى عليه الصلاة والسلام حكم على هذه الامة بانها لا تطيق بسبب ما اختبر به وهو انه عالج بنى اسرائيل ومن تقدم أقوى وأجلد ممن يأتى بعد

فرأى موسى ان ما لم يحمله القوى فمن باب أولى ان لا يحمله الضعيف
ونذكركم بأسرار الحكمة فى ارتباط العادة مع ان القدرة صالحة
لان يحمل الضعيف ما لا يحمل القوى وقد ورد ان الصلاة التى
كلف بها بنو اسرائيل ركعتان بالغداة وركعتان بالعشى وقيل
هى ركعتان عند الزوال ومع هذا لم يقوموا بذلك فمن ثم استكثر الخمس
لامة محمد صلى الله عليه وسلم واشفق عليهم من التخلف عن القيام
بواجبها فطلب السؤال فى تقليلها وقد وقع فى هذه الامة ان كثيرا
منهم يغلب عليه التفريط فى الصلاة الخمس وان كثيرا من المصلين
مفرط فى الشروط غير موف بالحقوق وكان ذلك من آثار فراسة
موسى صلى الله عليه وسلم فيهم لانه قال النبى صلى الله عليه وسلم
وقد رجع الفرض الى الخمس ارجع الى ربك فاسأله التخفيف ولم يرد
النبى صلى الله عليه وسلم فراسة موسى ولكن قال استحييت وفى
بعض الطرق انه قال أرضى وأسلم (وقوله عند سؤال التخفيف
فقد وضعت عنكم خمسا) كذا فى رواية ثابت عن أنس وفى رواية مالك
ابن صعصعة عشرا وفى رواية شريك وضع شطرها قال النووى
المراد بحط الشطر انه حط فى مرات بمراجعات فلا يخالف رواية
ثابت قال الحافظ ابن حجر وكذا العشر فكأنه وضع العشر
فى دفعتين والشطر فى خمس دفعات أو المراد بالشطر هنا البعض قال
وقد حققت رواية ثابت ان التخفيف كان خمسا خمسا وهى رواية
معتمدة يتعين حمل باقى الروايات عليها خصوصا وقد أيدتها روايات
أخر قال بعضهم دلت مراجعته صلى الله عليه وسلم فى طلب
التخفيف تلك المرات كلها انه علم ان الامر فى كل مرة لم يكن على

سبيل الالزام بخلاف المرة الاخيرة ففيها ما يشعر بذلك لقوله تعالى
ما يبدل القول لدى وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال فعرفت
انها عزمة من الله فرجعت الى موسى فقال لى ارجع فلم أرجع وقيل
انما امتنع النبى صلى الله عليه وسلم من طلب التخفيف فى المرة
العاشرة لانه صلى الله عليه وسلم تفرس ان هذا العدد لا يحط منه
فاستحيا ان يسأل فى مظنة الرد وجه التفرس ان الله تعالى أدرج
التخفيف خمسا خمسا فلو سأل التخفيف بعد ان صارت خمسا لكان
سؤالا فى رفعها وفى رفعها ارتفاع الصلاة بجملتها وقد علم انه لا بد من
وظيفة فلهذا ترك السؤال وكشف الغيب ان العلم القديم قد تعلق
ببقاء هذه الخمس ولهذا بقيت فصدقت الفراسة وأصابت الفكرة
وفى ذلك دليل على ان الله تعالى اذا أراد اسعاد عبد جعل اختياره
فى مرضاة ربه لان النبى صلى الله عليه وسلم جعل الله اختياره
وايثاره فيما أراد الحق تبارك وتعالى انفاذه وامضاءه. وهو فرض
الصلوات الخمس وذلك تكريم له صلى الله عليه وسلم وترفيع لانه
لو رجع وطلب التخفيف فلم يخفف كما خفف أولا لكان اختياره
مخالفا للقدور فلما ان اختار وأسعف فى اختياره كان دليلا على
ما اسعده الله عليه وعلى علو منزلته صلى الله عليه وسلم وفيه دليل
لاهل السنة حيث يقولون ان المحال حامل لا محمول لان النبى صلى الله
عليه وسلم لما ان ورد عليه حال الاشفاق على أمته بادر الى طلب
التخفيف عليهم ولم ينظر الى غير ذلك ثم لما ورد عليه الحياء من الله تعالى
لم يلتفت لامته اذ ذاك ولا طلب شيأ (وقوله لا يبدل القول لدى) ان
قيل ألم يبدل القول حيث جعل الخمسين خمسا أجيب بان معناه

لاتبدل الاخبارات لانه تعالى اذا أخبر عن حكم انه مؤبد استحال التبديل والنسخ حينئذ لاجل العلم وقد أخبر الله تعالى انه أمضى الفريضة أى أبدها وجعل ثواب الخمس الخمسين فلا يبدل هذا الخبر ولا يتوقع النسخ بعد ذلك أما التكليفات فانها تبدل وتنسخ كما نسخ الخمسين الى خمس أو لا يبدل القضاء المبرم لا القضاء المعلق الذى يمحو الله مايشاء ويثبت أو معناه لا يبدل القول بعد ذلك وقد استدل بتخفيف الخمسين الى خمس على جواز النسخ قبل التمكن من الفعل وقبل دخول الوقت كما هو مذهب أهل السنة خلافا للمعتزلة (وقوله وغفر لمن لم يشرك بالله شيأ من أمته المقحمات) هى بضم الميم وسكون القاف وكسر الحاء الذنوب العظام الكبائر التى تهلك أصحابها وتقودهم الى النار والتقحم الوقوع فى المهالك قال النووى والمراد بغفرانها انه لا يخلد فى النار بخلاف المشركين وليس المراد به انه لا يعذب أصلا وقد علم من نصوص الشرع واجماع أهل السنة اثبات عذاب العصاة من الموحدين (وقوله فى القصة فلما جاوزت نادى مناد أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى) من أقوى ما استدل به على ان الله تبارك وتعالى كلم نبيه صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء بغير واسطة قال ابن دحية خص رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرؤية والمكالمة لانه صاحب الشفاعة فى القيامة فبوسط قبلها لئلا تقع له حشمة البديهة كما وقع لغيره من الانبياء فاراد سبحانه وتعالى أن يزيل عنه قبل ذلك المقام الانقباض ليتمكن من المقام المحمود وأهله سبحانه قبل المشهد الاعلى للمشاهدة والكلام ثم رفعه الى مكان لامكان بعده مكانه ولا مقام

وراء مقامه ليكون مشاهدا للكل فيتفرغ فى المشهد الاعلى ويتمكن فى المقام المحمود قال بعضهم فى هذه المراجعة التى وقعت بين موسى وبين النبى صلى الله عليه وسلم فوائد منها تكرار الشفاعة فى القصة الواحدة الى أن يتم مقصود الشافع ومنها الرجوع الى المشير الناصح ومنها انه لا يمتنع من الشفاعة وان كان داخلا فيها الى غير ذلك من الفوائد ولبعض الذائقين كلام فى هذا المقام بديع النظام سلك فيه مسلك أهل المحبة ولحظ مذهبهم وقد علم كل أناس مشربهم فقال لما سأل موسى الرؤية فلم تحصل البغية بقى الشوق يقلقه والامل يتملقه فلما تحقق ان الحبيب منح الرؤية وفتح له باب المنية كثر السؤال عما جرى ليسعد برؤيته من قد رأى وردد فى أمر الصلاة الحبيب ليستفيد رؤية حبيب الحبيب ولله در القائل الآخر

وأستنشق الارواح من نحو أرضكم * لعلى أراكم أو أرى من يراكم

والقائل الآخر

وانما السر فى موسى يردده * ليجتلى حسن ليلى حين يشهده
يبدو سناها على وجه الرسول فيا * لله در رسول حين أشهده

(قوله فى القصة فلم يزل يرجع بين موسى وبين ربه) معناه بين موضع مناجاة ربه وكذلك قول موسى له ارجع الى ربك أى الى موضع مناجاة ربك فكان رجوعه من المكان الذى التقى فيه موسى الى الموضع الذى وقعت فيه المناجاة والسؤال لربه ولا يلزم من موضع السؤال أن يكون المسئول فيه أو يكون حائزا له لتعالى الله جل وعلا وتنزيهه عن الجهة والمكان فرجوع النبى صلى الله عليه

وسلم اليه رجوع الى السؤال فيه لشرف ذلك الموضع على غيره
كما كان الطور موضع سؤال موسى فى الارض ومع انتهائه صلى الله
عليه وسلم تلك الليلة التى عرج به فيها الى أن ظهر لمستوى سمع
فيه صريف الاقلام كان هو ونبى الله يونس اذ التقمه الحوت وذهب
به فى البحار يشقها حتى انتهى به الى قرار البحر سواء فى القرب من
الله تعالى لتعاليه تعالى وتنزيهه عن الجهة والمكان والتحيز
والاحاطة وقد نقل القرطبى فى التذكرة أن القاضى أبا بكر بن العربى
المالكى ذكر قال أخبرنى غير واحد من أصحابنا عن امام الحرمين
أبى المعالى عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوينى انه سئل هل
البارى فى جهة فقال لا هو متعال عن ذلك قيل له ما الدليل عليه
قال الدليل عليه قول النبى صلى الله عليه وسلم لا تفضلونى على
يونس بن متى فقيل له ما وجه الدليل من هذا الخبر قال لا أقوله حتى
يأخذ ضيفى هذا ألف دينار يقضى بها دينا عليه فقام رجلان فقالا
هى علينا فقال لا يتبع بها اثنين لانه يشق عليه فقيل واحد هى على
فقال ان يونس بن متى رمى نفسه فى البحر فالتقمه الحوت وصار
فى قعر البحر فى ظلمات ثلاث ونادى لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من
الظالمين كما أخبر الله تعالى عنه ولم يكن محمد حين جلس على الرفرف
الاخضر وارتقى به صعدا حتى انتهى به الى موضع يسمع فيه صريف
الاقلام وناجاه ربه بما ناجاه فأوحى اليه ما أوحى باقرب الى الله من
يونس فى ظلمة البحر فالله سبحانه قريب من عباده يسمع دعاءهم
ولا يخفى عليه حالهم كيفما تصرفت من غير مسافة بينه وبينهم
فيسمع ويرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة

الظلماء تحت الارض السفلى كما يسمع ويرى تسبيح حملة العرش من فوق السموات السبع العلى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة أحاط بكل شئ علما وأحصى كل شئ عددا *(الوجه الثلاثون فى الكلام على ما وقع له فى رجوعه من الاسراء من شرب الماء وحبس الشمس له وغير ذلك)* قال السهيلى فان قيل كيف استباح النبى صلى الله عليه وسلم شرب الماء الذى فى القدح وهو ملك لغيره واملاك الكفار لم تكن أبيحت يومئذ ولا دماؤهم والجواب ان العرب فى الجاهلية كان فى عرف العادة عندهم اباحة اللبن لابن السبيل فضلا عن الماء وكانوا يعهدون بذلك الى رعاتهم ويشترطون عليهم عند عقد اجارتهم أن لا يمنعوا اللبن من أحد مربهم فكيف الماء وللحكم بالعرف فى الشريعة أصول تشهد له انتهى وذكر أئمتنا رحمهم الله تعالى فى الخصائص انه صلى الله عليه وسلم أبيح له أخذ الطعام والشراب من مالكهما المحتاج اليهما اذا احتاج النبى صلى الله عليه وسلم اليهما وانه يجب على صاحبهما البذل له صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم (وقوله فى القصة وحبست عليه الشمس لما سألوه عن العير متى تجئ فقال يوم الاربعاء فجعلوا ينتظرونها وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا النبى صلى الله عليه وسلم فزيد له فى النهار ساعة) فقد رواه البيهقى وغيره وأخرج الطبرانى فى الاوسط عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر الشمس أن تتأخر ساعة من النهار فتأخرت ساعة من النهار وسنده حسن كما قاله الحافظ أبو الحسن الهيثمى فى مجمع الزوائد والحافظ ابن حجر فى فتح البارى فى باب قوله صلى الله عليه وسلم أحلت لكم الغنائم والحافظ أبو زرعة

الولى العراقى فى شرح التقريب قال الحافظ ابن حجر ولا يعارضه
ماروى أحمد بسند صحيح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الشمس لم تحبس الا ليوشع بن نون ليالى سار الى بيت
المقدس ووجه الجمع ان الحصر محمول على مامضى من الانبياء
قبل نبينا صلى الله عليه وسلم فلم تحبس الشمس الا ليوشع بن نون وليس
فيه نفى انها قد تحبس بعد ذلك لنبينا صلى الله عليه وسلم انتهى
وقد ورد ان الشمس ردت عليه صلى الله عليه وسلم بعد ماغربت
فروى الطبرانى بأسانيد رجال بعضها ثقات عن أسماء بنت عميس
قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء
ثم أرسل عليا فى حاجة فرجع وقد صلى النبى صلى الله عليه وسلم العصر
فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه فى حجر على فنام فلم يحركه
حتى غابت الشمس فقال عليه الصلاة والسلام اللهم ان عبدك عليا
احتبس بنفسه على نبيه فرد عليه الشمس قالت أسماء فطلعت
الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الارض وقام على فتوضأ وصلى
العصر ثم غابت وذلك بالصهباء بخيبر وفى لفظ آخر كان عليه الصلاة
والسلام اذا نزل عليه الوحى يغشى عليه فانزل عليه الوحى يوما وهو
فى حجر على فقال له النبى صلى الله عليه وسلم صليت العصر قال لا
يارسول الله فدعا الله فرد عليه الشمس حتى صلى العصر قال فرأيته
الشمس طلعت بعد ماغربت والحديث رجاله موثقون وغالبهم من
رجال الصحيح وقد حسنه الحافظان الولى العراقى والجلال
السيوطى ولا يلتفت لايراد ابن الجوزى له فى الموضوعات فقد
خطاه الحفاظ فى ذلك ومن فوائد طلوع الشمس بعد غروبها ان

الوقت

الوقت يعود ومن ثم لما عادت صلى العصر اداء بل عودها لم يكن الا لذلك ومثل ذلك مالو تأخر غروبها عن وقته المعتاد فان الوقت باق كما في حبسها في قصة الاسراء لدخول العير كما تقدم بل التأخير أولى ببقاء الوقت قال ذلك ابن العماد في التعقبات وقد صرح القرطبي بذلك في التذكرة في باب ما يذكر الموت والآخرة فقال فلو لم يكن رجوع الشمس نافعا وانه لا يتجدد الوقت لما ردها عليه انتهى ووجهه بعضهم بان الشمس لما عادت كأنها لم تغب وقد وقع حبس الشمس كرامة لبعض أولياء هذه الامة فذكر ابن السبكي في طبقاته واليافعي في كفاية المعتقد وغيرهما ان مما استفاض قال اليافعي وربما تواتر من كرامات الشيخ الكبير سيدى اسمعيل بن محمد الحضرمي شارح المهذب رحمه الله تعالى ونفعنا ببركته انه قال يوما لخادمه وهو في سفر قل للشمس تقف حتى نصل الى المنزل وكان في مكان بعيد وكان عادة أهل المدينة انهم لا يفتحون بابها بعد الغروب لاحد أبدا فقال لها الخادم قال لك الفقيه اسمعيل قفى فوقفت حتى بلغ مكانه ثم قال للخادم ما تطلق ذلك المحبوس فأمرها الخادم بالغروب فغربت وأظلم الليل في الحال وهذا من باب ما كان معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي *(خاتمة)* أخرج ابن مردويه عن أنس رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسرى به ريحه ريح عروس وأطيب من ريح عروس قال بعضهم فقد كانت الرائحة الطيبة صفته صلى الله عليه وسلم وان لم يمس طيبا وروينا عن أنس قال ما شممت ريحا قط ولا عنبرا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية للبخاري ولا شممت

مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية الترمذي ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أنس قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عندنا فعرق وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ صلى الله عليه وسلم فقال يا أم سليم ما هذا قالت عرقك نجعله لطيبنا وهو أطيب الطيب رواه مسلم وروى أبو يعلى والطبراني في قصة الذي استعان به صلى الله عليه وسلم على تجهيز ابنته فلم يكن عنده شيء فاستدعى بقارورة فسلت له فيها من عرقه وقال مرها فلتطيب به وكانت اذا تطيبت به شم أهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين وقال جابر بن عبد الله كان في رسول الله صلى الله عليه وسلم خصال لم يكن يمر في طريق فيتبعه أحد الا عرف انه سلكه من طيب عرقه وعرفه ولم يكن يمر بحجر الا سجد له رواه الدارمي والبيهقي وأبو نعيم ولله در القائل

ولو ان ركبا يمموك لقادهم * نسيمك حتى يستدل به الركب

وعن أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر في طريق من طرق المدينة وجدوا منه رائحة الطيب قالوا مر رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الطريق رواه أبو يعلى والبزار باسناد صحيح فنسأل الله ان يمدنا بمدد سيد المرسلين وان يجعلنا لاقواله وافعاله من المتبعين ولسنته من المتمسكين وان يدخلنا في شفاعته ويجعلنا تحت لوائه يوم الدين صلى الله عليه وسلم وجزاه عنا أفضل ما جزى نبيا عن امته ورضي الله عن آله وصحابته والتابعين وتابعيهم والائمة المجتهدين وسائر علماء المسلمين آمين * قال مؤلفه تغمده الله بالرحمة

والرضوان

والرضوان وأسكنه أعلى غرف الجنان وكان الفراغ من تكملته
عشية نهار الاربعاء سابع عشر شهر رجب الفرد سنة تسع وتسعين
وتسعمائة أحسن الله تقضيها وبارك فى أيامها ولياليها وجعل
ذلك خالصا لوجهه الكريم موجبا للفوز بجنات النعيم اه

في نسخة وسبعين

(بسم الله الرحمن الرحيم)

نحمدك يامن أسريت برسولك من المسجد الحرام الى المسجد
الاقصى وأريته من آياتك الكبرى مالا يحصر بحد ولا استقصا
ومنحته مقام القرب الاسنى فكان قاب قوسين أو أدنى والصلاة
والسلام على المخصوص بالاسراء والمعراج وآله وصحبه الحائزين
بمشاهدته غاية الفوز والابتهاج وبعد فيقول المتوسل بالفاتح
الخاتم الفقير الى الله تعالى محمد قاسم تم بعون مولانا القدير
طبع هذا المعراج الكبير للشيخ العلامة اللوذعى الفهامة
خاتمة الفضلاء المحققين الامام الغيطى نجم الدين رحمه الله تعالى
وأرضاه وجعل الجنة متقلبه ومثواه الذى لم يسبق بمثاله
ولم ينسج ناسج على منواله فكم أودع فيه من غرر النفائس وأبرز
من حسان مخدرات العرائس وأورد من حكم شريفة ونكات
بديعة منيفة فكان حقيقا بطبعه وتيسير سبيل نفعه خصوصا
بمطبعة بولاق العامرة ذات التحريرات الفائقة الباهرة فى أيام
من عم الخلائق بنعمه وسارت الركبان بمدح شمائله وكرمه
عزيز مصر ذى القدر العلى الخديو اسمعيل بن ابراهيم بن محمد على
لازال ممتعا بانجاله الكرام ملحوظا بعين ذى الجلال والاكرام

وكان طبعه على هذا الوجه الجميل بادارة ذى الحسب والمجد الاثيل
من بلغ فى أحاسن الاخلاق أعلى مكانه سعادة حسين بك مدير
المطبعة والكاغدخانه ونظارة ذى المعارف التى عليه تثنى
حضرة وكيلهما محمد أفندى حسنى فى أواخر شهر
رجب الحرام الاصم من عام خمسة وتسعين
ومائتين وألف من هجرة سيد العرب
والعجم صلى الله وسلم عليه
وآله وكل منتسب
اليـــــه

تم

